الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

بعنوان:

حجاجية المحسّنات البديعية في فنّ المقامات

- دراسة أنموذجية في المقامة الحُلْوانية للهمذاني -

إعداد الطالبة:
- أمال مناصر

إشراف الأستاذ الدكتور:
- أ.د. نورالدين دحماني

أمام لجنة المناقشة

/ الاسم واللقب	الجامعة	الرتبة	الصفة
أ. د حسين بن عائشة	مستغانم	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أ. د. نورالدين دحماني	مستغانم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
د. محمد بن عمارة	مستغانم	أستاذ محاضر	مناقشا

السنة الجامعية: 2025 -2026 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

رخصة إيداع النسخة النهائية لمذكرة الماستر

أنا الممضي(ة) أسفله الأستاذ(ة): ..... دحماني نور الدين .....

الرتبة العلمية: ..... أستاذ التعليم العالي .....

بصفتي مشرفا(ة) على مذكرة الماستر الخاصة بالطالب(ة):

الاسم واللقب: ..... أمال منار .....

التخصص: ..... لسانيات عربية .....

السنة الجامعية: ..... 2024/2025 .....

والموسومة: "..... دراسة المستويات البنيوية في خبر المقامات ..... دراسة أنموذجية لمقامة الحلوانية الهمذاني ."

أشهد أن الطالب(ة) قد أتم(ت) إنجاز المذكرة وفق التوجيهات العلمية والمنهجية المطلوبة، وبعد مناقشتها والأخذ بعين الاعتبار ملاحظات لجنة المناقشة وتصحيحها، أرخص له(ا) بإيداع النسخة النهائية للمذكرة لدى مكتبة الكلية.

مستغانم في: 2025/06/29

إمضاء الأستاذ المشرف

أ.د. نور الدين دحماني
أستاذ التعليم العالي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

مصادقة نيابة العمادة المكلفة بالدراسات و المسائل المرتبطة بالطلبة

د. بوقرة بلقاسم
نائب عميد مكلف
بالدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

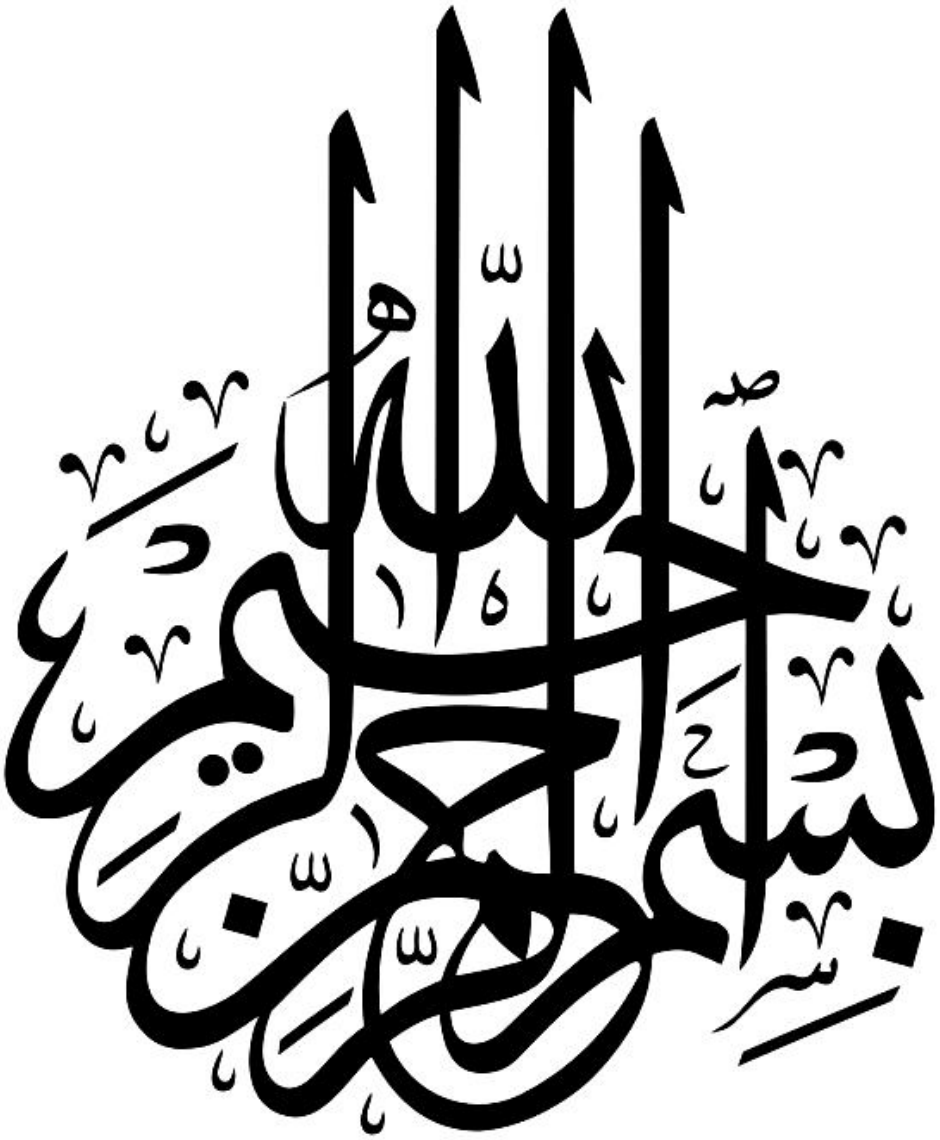
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

أهدي ثمرة جهدي وتعب سنواتي:

إلى من كان دعاؤهما سر نجاحي، ونبع الحنان والعطاء، إلى والدي العزيزين حفظهما الله وأطال في عمرهما، عرفانا بفضلهما الكبير علي، فلهما مني وأسمى عبارات الحبو الامتنان، حفظهما الله وأدامهما تاجا فوق رأسي.

إلى إخوتي وأخواتي، الذين كانوا سندي في كل خطوة، وشاركوني لحظات التعب ولأمل، إلى من كان وجودهم مصدر قوة لي ودافعا للاستمرار.

أهديكم ثمرة جهدي هذا، عرفانا بحبكم ووقوفكم الدائم إلى جانبي، فأنتم نعمة أعتز بها، حفظكم الله وأدامكم لي نورا في حياتي.

إلى زوجي الغالي أمين، رفيق دربي وسندي في الحياة، إلى من كان داعمي في كل خطوة، ومن منحني القوة والثقة لأواصل طريقي رغم الصعاب.

أهديك ثمرة جهدي هذا عرفانا بجميلك وامتنانا لوقوفك الدائم إلى جانبي، فأنت نعمة من الله أعتز بها، فجزاك عني خير الجزاء، وأدامك لي سندا ومحبا.

إلى صديقتي العزيزة لهوارية، التي كانت رفيقة دربي ومصدرا للدعم والكلمات الجميلة، إلى من شاركتني لحظات الفرح، ووقفت بجانبي في أوقات التعب، وكانت لي سندا ودعما لا ينسى. إلى كل من أحبني ودعا لي بالتوفيق،

أهدي هذا العمل المتواضع، راجية من الله أن يجعله ثمرة خير ونجاح.

أمـــال

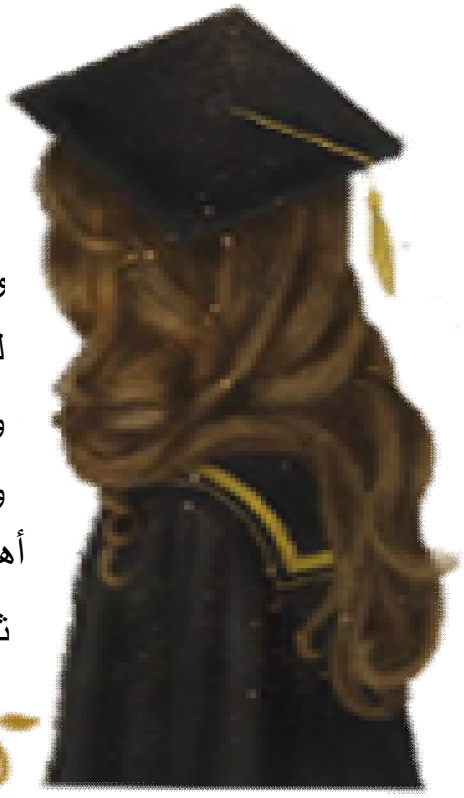

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، وأعانني على إنجازه، فله الحمد والشكر أولا وآخرا.

أهدي أسمى عبارات الشكر والتقدير إلى والدي الكريمين، اللذين كانا سندي وداعمي لأول طوال مسيرتي الدراسية، بما قدماه لي من تشجيع وتضحيات ودعوات صادقة، أسال الله أن يجزيهما عني خير الجزاء ويحفظهما.

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى المشرف الأستاذ الدكتور "**نور الدين دحماني**" على هذه المذكرة، لما قدمه لي من توجيهات قيمة ونصائح سديدة، ودعمه اللامحدود وتوجيهاته القيمة خلال فترة إعداد مذكرة التخرج.

لقد كانت خبرته ومعرفته العميقة مصدر إلهام لي، وكان لنصائحك وا ٍرشاداتك لأثر الكبير في تحسين جودة العمل الذي قدمته.

أشكره على صبره وتشجيعه لي في كل مرحلة من مراحل البحث، وعلى فتح أبواب النقاش وتبادل لأفكار التي ساهمت في تطوير أفكاره، أتمنى لك دوام الصحة والعافية.

كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على قبولهم مناقشة هذا البحث وعلى ما سيقدمونه من ملاحظات علمية تثري هذا والعمل وتطوره.

ولا يفوتني أن أشكر جميع أساتذة قسم اللغة ولاب العربي الذين ساهموا في تكويني العلمي والمعرفي طوال سيرتي الدراسية، وأن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث سواء بكلمة تشجيع أو دعم معنوي أو مادي.

وأخيرا أتقدم بالشكر إلى صديقاتي وزملائي الذين شاركوني هذا المشوار الدراسي وكانوا خير عون لي.

فهرس المحتويات

الفهرس:

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
فهرس المحتويات	ا
مقدمة	أ
المدخل: فن المقامات في الأدب العربي.	
1-مفهوم المقامة.	02
2-نشأة المقامة وتطورها.	05
3-عناصر المقامة	10
4-مقامات بديع الزمان الهمذاني.	18
5-خصائص المقامة	20
خلاصة	22
الفصل الأول: تطور مفهوم البديع في التراث البلاغي.	
تمهيد	24
المبحث الأول: فهوم البّديع لغة واصطلاحا.	25
المبحث الثاني: شأة البّديع وتطوره.	28
المبحث الثالث: واع المحسنات البّديعية المعنوية واللفظية.	37
خلاصة الفصل	45
الفصل الثاني: نظرية الحجاج اللغوي.	
تمهيد	47
المبحث الأول: فهوم الحّجاج لغة واصطلاحا.	47
المبحث الثاني: نظرية الحجاج اللغوي والسلالم الحجاجية عند ديكرو	53

فهرس المحتويات:

وأنسكومبر.	
المبحث الثالث: ّ وابط والعوامل الحجاجية ومبادؤها.	64
المبحث الرابع: آليات وأدوات الحجاج اللغوي وقوانينه	68
خلاصة الفصل	88
الفصل الثالث: دراسة تطبيقية حجاجية في المقامة الحلوانية للهمذاني.	
تمهيد	90
المبحث الأول: شرح وتحليل المقامة الحلوانية وخصائصها	90
المبحث الثاني: سياق ِصيغة الحجج في المقامة الحلوانية	94
المبحث الثالث: العوامل والروابط الحجاجية	97
المبحث الرابع: آليات الحجاج اللغوي وأدواته	100
المبحث الخامس: قوانين السلم الحجاجي	105
المبحث السادس: مبادئ السلم الحجاجي	114
المبحث السابع: حجاجية المحسنات البديعية في المقامة الحلوانية.	121
خلاصة الفصل	127
الخاتمة	129
قائمة المصادر والمراجع	133
الملاحق	144
ملخص الدراسة	

المقدمة

مقدمة:

بسم اللّه الر ّحمن الرحيم والحمد للّه الذّي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وجعل البيان أداة للفهم والإفهام، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد أفصح من نطق بالعربية، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تعدّ البلاغة العربية من أهم العلوم التي كشفت عن أسرار اللّغة وجماليتها، ولم تقف عند حدود التزيين اللّفظي، بل تجاوزت ذلك إلى إبراز قدرتها على التّأثير والإقناع. وفي هذا السياق تبرز المحسنات البديعية بوصفها مكوناً أساسياً من مكونات البنية البلاغية، إذ تسهم في إضفاء طابع جمالي على النّص، وقد تؤدي دوراً تداولياً يتّصل بتوجيه المعنى وتعزيز القوة الحجاجية، إذ تعدّ المحسنات البديعية من أبرز الأدوات التي اعتمدت عليها البلاغة العربية في إبراز جماليات الخطاب، وشكلت عنصراً فعالا في بناء النّصوص الأدبية وإغنائها دلالياً وإيقاعياً، غير أنّ قيمتها لا تقتصر على الزّخرفة اللّفظية، بل تتجاوز إلى أداء وظائف تعبيرية وحجاجية تسهم في توجيه المعنى وتعزيز أثره في المتلقي.

وتنقسم المحسّنات البديعية إلى نوعين رئيسيين: محسّنات لفظية ومحسّنات معنوية، وتسهم هذه المحسّنات في تعميق الدّلالة وإغناء النص بطبقات متعدّدة من المعنى، ممّا يفتح المجال أمام التأويل ويقوي البعد الحجاجي، وبعد ذلك جاء الحجاج اللّغوي الذي يُعتبر في جوهره نشاط تواصلي يقوم على تقديم الحجج وترتيبها داخل خطاب معيّن، قصد حمل المخاطب على تبني رأي أو موقف، وذلك اعتمادا على وسائل اللغوية وأساليب بلاغية متعدّدة، ومن خلال هذا يتجلّى الحجاج اللّغوي من خلال آليات دقيقة مثل الرّوابط الحجاجية، والسلم الحجاجي وأهم المبادئ والقوانين التي تُسهم في تنظيم الخطاب وتوجيهه نحو نتيجة محدّدة، ولا ينفصل هذا التوجّه عن البلاغة العربية التي ركزت على الجانب الجمالي، فإنها في عمقها تحمل أبعاداً حجاجية واضحة خاصة من خلال توظيف الأساليب البلاغية التي تؤثر في المتلقي.

المقدمة:

وجاء فن المقامات الذي يعتبر من الفنّون الأدبيةلتلي تجسّد التفاعل بين الجمالية والحجاج، إذ يقوم على استثمار اللغة في أقصى طاقاتها التعبيرية والإقناعية. وقد برع بديع الزّمان الهمذاني في توظيف مختلف الأساليب البلاغية، وعلى رأسها المحسّنات البديعية لإنتاج خطاب يجمع بين الامتاع والإقناع، ويعكس قدرة فائقة على التأثير في المتلقي عبر بناء حجج لغوية ضمن سياقات سردية مشوقةوتأتي المقامة الحُلوانية أنموذجًا دالاً على التّداخل بين البعد الجمالي والوظيفة الحجاجية، إذ تتجلى فيها المحسّنات البديعية بوصفها آليات خطابية تسهم في بناء الحجة وتوجيه المتلقي نحو تبنّيموقف معيّن، ومن هنا تتبع أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى الكشف عن الأبعاد الحجاجية للمحسنات البديعية، وتحليل كيفية اشتغالها داخل بُنية المقامة.

ويرجع اختيار سبب موضوع حجاجية المحسنات البديعية في فن المقامات "المقامة الحُلوانية"أنموذجًا إلى الرغبة في الكشف عن الأبعاد التداولية والحجاجية التي تتجاوز الوظيفة الجمالية للمحسّنات البديعية اذ لم تعد مجرد وسائل للتزيين اللّفظي، بل أصبحت أدوات فاعلة في بناء الإقناع وتوجيه المتلقي داخل الخطاب ويكتسب هذا الموضوع أهميته من كونه يجمع بين حقلين متكاملين: البلاغة العربية القديمة الى أولت عناية خاصة بالمحسّنات، والدّراسات الحجاجية الحديثة التي تهتّم بآليات التأثير في المتلقي. كما أن اختيار فن المقامات يعود إلى كونه مجالاً خصبًا لتجليهذه المحسّنات بكثافة، حيث تتداخل فيه العناصر السّردية بالبلاغة، مما يجعله نموذجاًليًلدراسة الوظيفة الحجاجية للأساليب وقد تم التركيز على المقامة الحُلوانية لأنها تمثل نموذجًا بارزًا في توظيف المحسنات البديعية توظيفًا يخدم المقصد الإقناعي.

وتكمن إشكالية هذا الموضع في التساؤل حول: إلى أي حد يمكن اعتبار المحسنات البديعية وسائلحجاجية في الخطاب المقامي؟ وكيف أسهم توظيفها في المقامة الحُلوانية

في تحقيق الإقناع والتأثير؟ وما هي الآليات التي تجعل من هذه المحسنات عناصر فاعلة في بناء الحجة؟

وتفترض الدّراسة أن المحسّنات البّديعية في فن المقامات تؤدي وظيفة حجاجية تتجاوز بعدها الجّمالي، إذ تسهم في بناء الخطاب الإقناعي وتوجيه المتلقي، ويتجلّى ذلك في المّقامة الحُّلوانية من خلال توظيف المحسّنات اللّفظية والمعنوية داخل سياق سردي حجاجي.

وانطلاقًا من هذه الفّرضيات، يهدف البحث إلى إبراز الوّظيفة الحجاجية للمحسّنات البّديعية، وتحليل تجلّياتفي المّقامة الحُّلوانية، مع الوقوف عند مختلف الأساليب البلاغية التي أسهمت في تقوية البناء الحّجاجي للنّص. وبذلك يسعى هذا العمل إلى إعادة الاعتبار للمحسّنات البّديعية بوصفها أدوات حجاجية ذات فاعلية في الخّطاب، وليس مجرّد عناصر تزيينية ممّا يفتح آفاقًا جديدةفي دراسة البلاغة العربية وربطها بالدّرس الحّجاجي المّعاصر.

وقد كانت حجاجية المحسنات البديعية في المقامة محطة دراستي في بحثي هذا الذي قسمته إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمةفقد تناولت في المدخل مفهوم المّقامة وتطورها وذكر أهم العناصر والخصائص وأعلام المّقامة المّقامة.

وتعرضنا في الفصل الأول إلى تطور مفهوم البديع في التراث البلاغي، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول حول مفهوم البديع لغة واصطلاحا، والمبحث الثاني حول نشأة البديع وتطوره، والمبحث الثالث حول أنواع المحسنات البديعية المعنوية واللفظية.

أما الفصل الثاني فقد تطرقنا فيه إلى نظرية الحجاج اللغوي وقد قسمته إلى أربع مباحث المبحث الأول حول مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً، أما المبحث الثاني حول نظرية الحجاج اللغوي والسلالم الحجاجية عند كل من ديكرو وأنسكومبر، وفي المبحث الثالث تناولنا فيه روابط وعوامل الحجاج اللغوي ومبادئه، وفي المبحث الرابع كان حول آليات الحجاج اللغوي، ومبادئه وأهم قوانينه.

في حين أن الفصل الثالث كان إجرائيا تحت عنوان دراسة تطبيقية حجاجية في المقامة الحلوانية، وتناولنا فيه سبعة مباحث: شرح وتحليل المقامة والحلوانية وخصائصها، والوقوف عند أهم العوامل الروابط الحجاجية، ثم الإلمام بقوانين ومبادئ السلم الحجاجي، وأخيرا حجاجية المحسنات البديعية في المقامة الحلوانية.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي مدعوما بالمنهج اللساني الحجاجي، وذلك من خلال تحليل البنيات اللغوية ولآليات الحجاجية في المقامة الحلوانية ورصد الروابط والعوامل الحجاجية والمحسنات البديعية التي أسهمت في تحقيق لإقناع والتأثير. وقد مكن هذا المنهج من الكشف عن العلاقة بين البنية اللغوية والوظيفة الحجاجية للنص.

وقد اقتضت الدراسة ابراز العلاقة بين البلاغة والحجاج، ودور المحسنات البديعية في توجيه المتلقي والتأثير فيه ومن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الجانب دراسة حجاجية المحسنات البديعية في خمريات أبي نواس ودراسة المحسنات البديعية اللفظية ودورها الإقناعي في ديوان مواكب البوح للشاعر سعد مردف، حيث سعت إلى إبراز الوظيفة الاقناعية للمحسّنات البديعية ودورها في التأثير في المتلقي، وقد اقتضت الدراسة على أن أعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها ابن معتز في كتابه البديع، والسكاكي في كتابة مفتاح العلوم وأبو بكر الغزاوي في اللغة والحجاج، اما بالنسبة لفن المقامات فهناك دراسات حول مقامات بديع الزمان الهمذاني من حيث البناء السردي والخصائص البلاغية.

وقد واجهتنا أثناء هذه الدراسة جملة من الصعوبات التي تمثلت في التمييز بين الوظيفة الجمالية والوظيفة الحجاجية لبعض المحسنات البديعية داخل النص المقامي إضافة إلى صعوبة استخراج الشواهد الحجاجية وتحليلها من المقامة الحُلوانية، وضيق الوقت مما استدعى جهدا كبيرا في الجمع والتحليل.

وبعد ذلك ختمتنا بخاتمة تتضمن خلاصة عامة حول الموضوع، حيث تبرز دراسة حجاجية المحسنات البديعية في فن المقامات أن الأساليب البلاغية لا تعد مجرد عناصر تزينية تكسب الخطاب جمالا شكلياً، بل تمثل آليات لغوية فاعلة تسهم في بناء الحجاج وتوجيه المتلقي.

كما يكشف فن المقامات عن تداخل وثيق بين البعد الجمالي والوظيفة الحجاجية، حيث توظف اللغة بمهارة لتحقيق غايات إقناعية ضمن سياق فردي مشوق.

وفي الأخير نتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذنا الفاضل، الذي كان له الفضل الكبير في توجيهنا ودعمنا خلال مسيرتنا الأكاديمية، لقد كانت إرشاداته القيمة وملاحظاته الدقيقة مصدر إلهام لنا، نشعر بالفخر لكوننا طالباته، ونتمنى أن نكون عند حسن ظنه. آملين أن نستمر في الاستفادة من علمه في المستقبل.

مدخل حول المقامات في الأدب العربي

يعدّ فن المقامة من الفنون النثرية المميزة في الأدب العربي إذ ظهر في مرحلة ازدهر فيها الاهتمام باللغة وأساليبها البلاغية، فكان نتاجا لتفاعل الأدباء مع الواقع الاجتماعي والفكري لعصورهم وقد اتخذ هذا الفن طابعا قصصيا يقوم على حكاية قصيرة تروى بأسلوب فني يجمع بين السرد والوصف والحوار، وقد تقوم المقامة على التعريف باللون الأدبي من حيث مفهومه ونشأته وأهم أعلامه مع إبراز خصائصه الفنية واللغوية.

1- مفهوم المقامة:

اتفقت المعاجم العربية القديمة على أن لفظ مقامة يدل على المجلس من حيث هو مجلس، أو الجماعة من الناس، كما ورد في لسان العرب لابن منظور،[1] وفي أساس البلاغة للزمخشري[2] والصحاح للجوهري.[3]

أما من الناحية الصرفية، فيحتمل أن يكون مصدر ميميا، كما يحتمل أن يكون اسم مكان ويرى سيبويه أن صيغتي مَفْعَل ومُفْعَلَة تعنيان شيئا واحدا في هذا الباب، أي أنهما قد تعنيان المكان، وقد تعنيان المصدر أي سواء صيغة مَفْعَل ومُفْعَلَة في العربية تصلح للدلالة على المصدر والمكان معا وقد يجتمع المعنيان في لفظ واحد فلا يجزم بأحدهما دون الآخر.[4]

وقديؤكّد سيبويه في معرض حديثه عن وجه صياغة اسم المكان، حين يقول: وأما ما كان يَفْعُل منه مضموماً، فهو بمنزلة ما كان يفعل منه مفتوحاً، ولم يبنوه على مثال يَفْعَل

---

[1]- ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، د.تح، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ، ج 12، ص 503، 506 مادة (قوم).

[2]- الزمخشري أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419 هـ/ 1998 م، ج 2، ص 105، 106.

[3]- الجوهري، إسماعيل بن حماد الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407 هـ/ 1987 م، ج 5، ص 1717، 1718، مادة (قوم).

[4]- ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون مكتبة الغانجي، القاهرة، ط 3، 1408 هـ/ 1988 م، ج 1، ص 12، 15.

لأنه ليس في الكلام مـُفْعَـل، وذلك قولك، قَـتَـل يـَقْـتُـل وهذا المقتل وقالوا: يقوم، وهذا المقام، وقالوا: أكره مقال الناس وملامحهم: وقالوا: الملامة والمقالة، فأنثوا". وهذا يعني أنه لا فرق حقيقي بين المقام والمقامة من حيث الاشتقاق والدلالة، فكلاهما مشتق من الفعل قَـام َ ، ويدلان على المصدر أو اسم المكان، وليس المكان فيهما إلا موضع الجلوس أو القيام.[1]

وقد ذهب ابن سيده إلى الرأي نفسه حين نقل نص الكتاب نفسه غير أنه استبدل لفظ المقامة بلفظ المقالة مما يدل على تقارب الدلالة بين الألفاظ.[2]

فهل إذن هنالك فرق ما من الناحية الصرفية بين صيغتي: مفعل ومفعلة أي بين مقام ومقامة؟

يرى سيبويه: أن المقام والمقامة لا فرق بينهما من حيث الأصل اللغوي وكلاهما مشتق من الفعل قام ويدلان على المكان أو الموضع، وليس المكان في حقيقة أمره إلا موضعاً للجلوس، وقد أشار ابن منظور إلى التفاوت حين قال: المقام والمقامة: المجلس[3].

يرى الزمخشري أن كلمتي المقام والمقامة هو المكان، وبالتحديد موضع القيام واتسع فيهما حتى استعملا استعمال المكان والمجلس، وواضح أن الزمخشري يريد بقوله كالمكان التشبيه أي أن أداة التشبيه تدل على أنه يقصد المساواة في المعنى، وأن المقام والمقامة يـُشبهان المكان والمكانة من حيث الدلالة على الموضع[4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 20.

[2]- ينظر: أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، د تح، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ/ 1999 م، ج 2، ص 200.

[3]- ينظر: أبي الفضل جمال الذين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، د.تح، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ج 12، 223.

[4]- ينظر: أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1419 هـ/ 1998 م، ج 1، ص 150.

ولقد استعمل الجاحظ كلمة مقامة للدلالة على المجالس والمواقف مثل قوله: مقامات الشعراء في الجاهلية والإسلام[1] والذي يتبع النص الوارد بعد العنوان يقتنع بأن الجاحظ أنما أراد بلفظ "المقامات" مكانة الشعراء أي مكانة الشاعر وموقفه لا القصة السردية، وفي كتاب العثمانية يكثر الجاحظ من استعمال هذا اللفظ حتى بذكره مرات عديدة مما يدل على اتساع مدلوله عنده،[2] وقد يربط الجاحظ المقامة بالجدل العقلي والاستدلال الصحيح فيؤكد أهمية الحديث الصحيح الذي لا يضعف بسوء الإسناد ولا بكثرة المعارض وهنا يقول أبو عثمان الجاحظ:"إنما الخبر الصحيح الذي لا يعتمد بضعف الإسناد، ولا يترك لضعف الأهل. ولا يوقف فيه لكثرة المعارض والمناوئ، كنحو ما روينا من مآثرهم في مقاماتهم ومشاهدهم،[3] أي أن الخبر الحق لا توقف صحته على منزلة من رواه أو مكانته الاجتماعية، وأن كثرة المخالف لا تعني بطلان الحق ثم يوضح ذلك بمثال ما نقل إلينا من مفاخر القوم وأعمالهم العظيمة التي ظهرت في مواقفهم ومجالسهم. وهي أخبار تقبل لثبوت معناها وشهرتها، لا لمجرد السند أو عدد المؤيدين والمعارضين، فالمقامة عند الحافظ ترتبط أساساً بمواقف العظماء وأحوالهم في السلموالحرب والمنافرة والمجادلة، أي أن المقامة تدلّ على الموقف الذي يظهر فيه الإنسان بفعله أو قوله. ونستخلص من كل هذا أن الجاحظ لم يصنع مفهوماً جديداً واضحا ولم يبتعد بما عما كان معروفاً في كلام العرب وإنما استعملها في معناها الشائع للدلالة على المواقف المشهودة التي تذكر فيها المآثر، كما هو معروف في أخبار الشعراء منذ القدم.[4]

---

[1]- ينظر: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، د.تح، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 2، 2003، 1424 هـ، ج 3، ص 372 .

[2]- ينظر: عمر بن بحر الجاحظ أبو عثمان، العثمانية، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ط 1، 1991م، ج 1، ص 206.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 233.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 242.

أما أبو علي القالي فقد كان واسع الحفظ كثير الراوية للأشعار والأخبار وقوي الذاكرة، ولم يكن بكثرة من التصنيف والتأليف بل كان اعتماده الأكبر على المشافهة والرواية، وقد شرح لفظ مقامة في أحد أحاديث ابن دريد على أنها المجلس[1] أي أن المقامة تعني المجلس أو الموضع الذي يـُقام فيه، وكان القالي ينقل الشروح شفهيا بوصفه راوية أميناً يحضر مجالسة الرجال والعلماء وطلاب اللغة والأخبار، وكان يروي في مجلسه الأبيات الشعرية التي يستشهد بها وأكثرها مرتبط بما يدور في المجلس.

فالمقامة التي وردت في حديث ابن دريد الذي رواه القالي كانت تعني المجلس فقط، واستدل القالي على ذلك بشواهد من الشعر الجاهلي والأموي، حيث استعملت الكلمة بهذا المعنى دون أي دلالة فنية لذلك فإن ورود لفظ مقامة في هذا الحديث لا يدل على تطور جديد في المعنى بل بقي على معناه الأصلي. وبعد ذلك ظهر بديع الزمان الهمذاني فأنشأ فنـًا أدبيا جديداً سماه المقامات التي تعرف بفن أدبي قائم بذاته لا يعني الجلوس ولا الجالسين إنما يعني قصة قصيرة أو حكاية أدبية طريفة تعتمد على النوادر والطرافة والمواقف الذكية والبطل المحتال الطريف وتصاغ بأسلوب مسجوع وألفاظ المختارة بعناية ودقة، فقد أصبحت المقامة تعني منذ ظهور فن البديع الأقصوصة أو الحكاية المصاغة بأسلوب أدبي.[2]

2- نشأة المقامة وتطورها:

المقامة نوع أدبي ظهر في صورته الناضجة على يد بديع الزمان الهمذاني (358 - 398 هـ) في القرن الرابع الهجري، وهو أول من أملى المقامات الأدبية المعروفة، وقد بلغ عدد مقاماته نحو أربع مئة مقامة.

[1]- ينظر: أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الأمالي، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب مصرية، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1953 م، ص 22.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، من 25.

وقد اختلف بعض الدارسين في أصل المقامة أفارسي هو أم عربي وذهبوا إلى...، أن العرب لم يعرفوها إلا بعد ترجمة المقامات الفارسية، وفريق آخرين في ذلك ويؤكّد أن للمقامة جذوراً عربية، ويذكر ياقوت الحموي[1] (ت 626 هـ/ 1229 م) صاحب معجم الأدباء أن البديع (لِد) في نيسابور سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وجدّد رونقه، وأبرز محاسنه وصاغ طرائزه، وأملى أربعمائة مقامة أسند بطولتها إلى أبي الفتح الاسكندري[2]، وجعل موضوعها الكدية[3] وما يتصل بها.[4]

وليس من شك أن بديع الزمان أفاد من أشكال وصور أدبية سابقة على الصورة التي انتهت إليها المقامة على يديهوهي صورة متعدّدة يمكن أن نرى بعضها في أحاديث ابن دريد وقصص المكديين وأحاديث الأعراب وحكايات الجاحظ عن البخلاء وغير البخلاء وما ورد من قصائد الأحنف العكبري[5] لـ 385 هـ الموافق 995 م وأبي دلف الخزرجي[1] (391 هـ/ 1000م) على سبيل التمثيل لا الحصر.

---

[1]- هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي ولد في بلاد الروم (اليونان) حوالي عام 1178 م (574 هـ)، نشأ في بغداد، عاش حياته متنقلابين مدن الشام ومصر وا يران كرحالة وتاجر كتب، توفي في حلب في رمضان سنة (626 هـ / 1229م) ومن أهم مؤلفاته: معجم البلدان، إرشاد الأ يب إلى معرفة الأديب والمقتضب من كتاب نسب الفرس والعرب، مكانته:واحد من أشهر الجغرافيين والرحالة، وقد جمع بين الأدب والجغرافيا والتاريخ.

[2]- هو شخصية خيالية أدبية بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني القرن (398 هـ/ 1007م) يمثل المحتال الفصيح والكدية في الأدب العربي، هو شخصية محورية بليغة تبتكر لتكسب المال تعكس اضطرابات المجتمع العباسي آنذاك وتعتبر الآثار الرئيسية له هي المقامات ال 52 التي آلفها الهمذاني.

[3]-الكدية: هي الأرض الصلبة التي يصعب حفرها، أما في الاصطلاح هي مصطلح يطلق على التسول والاستجداء، وسؤال الناس وقد عرفت التراث العربي كحرفة تعتمد على الالحاح، واستخدام الحيل. واختلاف القصص لكسب المال من جيوب الآخرين.

[4]- ينظر: ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، تح: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ج 1، ص 105.

[5]- هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ويلقب بالأحذف العكبري، ولد سنة 538 هـ / 1143 م وتوفي سنة 616 هـ / 1219م ينتمي إلى عكبرا ثم أقام في بغداد، وكانت مركز نشاطه العلمي ومن مؤلفاته التبيان في إعراب القرآنوا عراب الحديث النبوي وشرح ديوان المتنبي واللباب في علل البناء والإعراب.

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن ابن دريد[2] (321 هـ/ 933 م) هو مبتكر فن المقامات اعتمادا على نص أورده أبو إسحاق الحصري (453 هـ/ 1061 م) في كتابه زهر الآداب وزعم لا يثبت أمام الحقيقة حين ندقق النظر في طبيعة كل من الحديث والمقامة.[3]

وهنا يرى الحصري[4] أن ابن دريد كلامه سهل المآخذ، أنيق الجوهر، يكاد الهواء يختطفه من فرط لطه، ويستهوي القلوب بما فيه من ظرف ورقة. ولما رأى أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أنه قد ابتكر أربعين حديثاً، ورغم أنه استنبطها من ينابيع صدره واستخرجها من معادن فكره، وأبرزها للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر في أساليب غير عربية نادرة الاستعمال، جاء أكثرها نافرا عن الطباع، وقد توسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه شتى وضروب متباينة، فعارضه بأربع مئة مقامة في الكدية، تذوب ظرفاً وتقطر حسنا لا تكاد تجد بين مقامتين منها مناسبة في لفظ معنى وجعل مساحتها ومداولتها دائرة بين رجلين، سمى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر أبا الفتح الاسكندري وجعلهما يتهايلان الدّر، ويتنافثانالسّحر،في معانٍ تضحك الحزين، وتحرك الرّصين، يتطلع منها كل طريقة ويوقّف منها على كل لطيفة، وربّما أفرد أحدهما بالحكاية

---

[1]- هو أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي، ولد في ينبع نسبة قريبة من المدينة المنورة، في القرن الثالث الهجري وتوفي حوالي 391 هـ/ 1000 م من مؤلفاته كتاب عجائب البلدان والرسالة الثانية (رسالة أبي دلف إلى كردستان). والرسالة الأولى (المسماة برسالة أبي دلف إلى الصين) واشتهر بقدرته على الوصف الجغرافي الدقيق الذي سبق عصره مما جعل كتبه مرجعاً مهما في التاريخ والجغرافيا.

[2]- هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ولد سنة (223 هـ/ 837 م) وهو عالم لغوي وشاعر عربي ولد في البصرة (العراق) لقب بأشعر العلماء وأعلم الشعراء، عاش منتقلا بين عمان وفارس وبغداد وتوفي سنة (321 هـ / 933 م) توفي في بغداد وأهم موافاته جمهرة اللغة والمقصورة وكتاب الاشتقاق وأدب الكاتب.

[3]- ينظر: د.إبراهيم الساعفين، أساليب التعبير الأدبي، د.تح، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1997، ص 165، 166.

[4]- هو إبراهيم بن علي تميم القيرواني هو أديب وناثر بليغ وشاعر تونسي ولد في القرن الخامس هجري وتوفي تقريبا سنة (453 هـ / 1061 م)ومن أبرز مؤلفاته زهر لآداب وثمر الألباب ونور المطرف ونور الطرف، وجمع الجواهر في الملح والنوادر والمصون في سر الهوى المكنون.

وخص أحدهما بالرواية[1] فهنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحُصْري القيرواني (ت 453هـ) يبين لنا أن أسلوب بديع في الكلام يقوم على دقة الألفاظ، وحسن الصياغة، وابتكار المعاني، ويشير إلى براعة ابن دريد الأزدي في توليد الأفكار، والألفاظ مع التنبيه إلى أن الأسلوب قد يعجب السامعلكنه أحيانا يخرج عن المألوف، وكذلك يتحدث عن المقامة الكُدية بوصفها لونا أدبيا يعتمد على الطرافة وحسن الصياغة وتقوم على الحوار والمنافسة اللغوية وتهتم بالأسلوب والبلاغة أكثر من عمق الفكرة وتهدف إلى الامتاع والتأثير.

وأول من سبق إلى ابتكار من المقامات بديع الزمان الحمداني (ت 398 هـ)، ثم تلاه في الاختراع أبو محمد القاسم الحريري (ت 516 هـ) فطور هذا الفن وبلغ به درجة عالية من الإتقان، وانتشرت المقامات في مختلف أقاليم العالم العربي، ومنها الأندلس.[2]

والمقامة كما وضع تقاليدها بديع الزمان الهمذاني، قطعة من النثر الفني تقوم على حكاية قصيرة وتنتمي غالباً إلى عبرة أو عظة أو طرفة فكاهية ويرويها شخص واحد لا يتغير وهو عيسى بن هشام عند بديع الزّمان الهمداني والحارث بن همّام عند الحريري ووظيفته رواية أحدث المقامة.

وبطل كل حكاية شخص آخر خيالي هو: أبو الفتح الإسكندري في مقامات بديع الزمان الهمذاني، وأبو زيد السّروجي في مقامات الحريري ويجب أن تتوافر في هذا البطل صفات البلاغة والفصاحة:وسرعة البديهة، وسعة الحيلة والكُدية وحلاوة النادرة، ثم تطورت المقامة مع مرور الزمن إلى أن صارت قطعة من النثر المسجوع القائم على التأنق في اللغة والأسلوب والصياغة، كما صارت تستعمل للموعظة والإصلاح وصارت اقرب إلى المقالة منها إلى المقامة كمقامات الزّمخشري لأنه لا يوجد فيها شخصيات تروي أو يُروى عنها، مع خُلوها من الكُدية والاستجداء، أي أنّ المقامة في مراحلها المتأخرة تحولت من فن قصصي

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص 167.

[2]- ينظر: د. علي محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس، د.تح، الدار العربية للموسوعات بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ص 479.

مسجوع إلى نثر فكري إصلاحي قريب من المقالة يركز على المعنى والأسلوب لا على الحكاية والاحتيال. وكل ما بقي من رسوم المقامة كما اخترعها بديع الزمان، وخلفه الحريري هو الموضوع فحسب، الذي قصره الزمخشري على الزهد، والنصائح وامتازت بالأسلوب المسجوع الذي لا تكلُّف فيه،[1]وكلّ هذا عن نشأة المقامة وتطورها في المشرق. أما في الأندلس، فكان سبب انتقالها رحلات طلاب العلم والأدباء من الأندلس إلى المشرق، وعندما عادوا إلى بلادهم رجعوا ومعهم هذا اللون من النثر الفني، وفي عصر ملوك الطوائف انتشرت بين الأندلسيين مقامات بديع الزمان الهمذاني، وقد عارضوا بعض أدباء العصر منهم "ابن شرف القيرواني"الذي عاصر المتصدّر بن عباد (ت 461 ه) الذي عارض مقامات بديع الزمان الهمذاني، كما يقول ابن بسام (542ه):[2] وسار على هذا النهج عبد الوهاب بن حزم، وأبو حفص عمر بن شهيد وغيرهما.

أما في عصر المرابطين فقد تأثر كتاب المقامات فيه بمقامات الحريري وحاولوا محاكاتها وتقليدها ومن أشهرهم أبو طاهر محمد التميمي القرطبي (ت 538 ه) وله مقامات تشبه مقامات الحريري إلى حد بعيد.[3]

وظل الأدباء الأندلسيون يكتبون المقامات حتى آخر العصر الإسلامي في الأندلس وأبرزهم لسان الدين بن الخطيب (ت 776 ه)له مقامات متعدّدة مثل: رحلة الشتاء والصيف وله أيضا مقامات في السياسة وغيرهما وللفقيه عمل الرجال مقامة سياسية ولأبي محمد عبد الله الأزدي (ت 750 ه) مقامة العيد.[4]

---

[1]- ينظر: مرجع نفسه، ص 480.

[2]- ينظر: أبي الحسن علي بن بسام الشتريني، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت - لبنان، د. ط، ج 4، ص 154.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 197.

[4]- ينظر: د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، د.تح، دار النهضة العربية، بيروت، القاهرة، ط 1، 1976، 1995، ص 502.

3- **عناصر المقامة:**

قامت المقامة على بنية فنية متكاملة تجمع بين السرد القصصي والبلاغة اللغوية، تعتمد على عناصر فنية محددة أسهمت في تميزها وانتشارها، وقد تتكون المقامة من عناصر أساسية يتكامل بعضها مع بعض ومن أبرزها:

1- **الحبكة:** هي اسم جامع لطائفة من المصطلحات الفنية الأساسية في القصة، ولا تكون ناضجة ومؤثرة إلا إذا قامت على حبكة محكمة،وتحقّق من خلال طريقة عرض الحوادث وتنظيمها داخل النص فمن حيث طريقة عرض الحوادث نجد طرقا مختلفة، أهمها طريقة السرد والطريقة الذاتية التي يستخدم فيها الكاتب القصصي ضمير المتكلم ومثال ذلك: يبدأ الراوي حديثه بقوله إنه شهد ما حدث أو سمع بنفسه ولا يتدخل الكاتب تدخلا مباشر بل يترك السرد للراوي، إذ يعد الراوي عنصر أساسيا في بناء الحبكة ولا بتدخل في سير الأحداث بل يكتفي بنقلها وترتيبها ويترك الحكم للقارئ، ويكشف تدريجيا عن الشخصيات وأسرارها. وقد قرأنا كل المقامات ولم نجد فيها تدخلا مباشراً من المؤلف[1] وهنا يقول شوقي ضيف:إنّما ظل البديع متفرجا من زاوية قريبة أو بعيدة على سير الأحداث، وتسلسلها وكأنه يشكل عنصر محايدا لا دخل له في الأمر وا ٍنما يترك ذلك كله إلى راويته أو إلى البطل الآخر الذي وكل أمره إلى راوي يتتبعه، ويكشف عن خبايا نفسه وأسرارها الغريبة[2]، وهذا يعني أن بديع الزمان الهمذاني تعمّد الحياد السردي وجعل الراوي وسيطا والبطل محورا للحركة،بينما هو ظلّ خارج النص مراقباً لبناء الحدث، لا مشاركا فيه.

[1]- ينظر: د.عبد المالك مرتاض، من المقامات في الأدب العربي، د.تح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبع بمركب الطباعة، برغاية، ص 480.

[2]- ينظر: شوقي ضيف، المقامة تاريخ الأدب العربي، د.تح، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ص 481.

وقد كانت مواقف البديع من شخصياته تتغير بين مقامة وأخرى بينما نجده أحيانا يرفع من قيمة شخصيات مقامته إلى درجة عليا، ويتجلى ذلك في مقامات الجاحظية حيث الاسكندري فيها ناقد عالم بفنون القول الجميل وكذلك نجد نفسه في المقامة المضيرية سيِّداً وقورا أي انه متصف بالرزانة والسكينة كما نجد في المقامة الدينارية التي تجعل البديع فيها الاسكندري من جلساء الشحادين المحرومين ببغداد فيمر بهم عيسى بن هشام فيخطر له خاطر غريب وهو أن يبذل دينارا، لأشحذ تلك الجماعة لساناً، فيرغم الاسكندري أنه هو ويزعم شحاذ آخر أنه هو فيتهارشان ويتناقشان فيقول لهم عيسى بن هشام:ليشتُم كل منكما صاحبه، فمن غَلَبَ سَلَبَ، ومن عَزَّ بزَّ،[1] يوضح القول منطق القوة الكلامية في المجتمعات العربية التقليدية وأن من يمتلك قوة الكلام يغلب على خصمه في السب أو الجّدال يحقّق المكسب بينما من يتردد أو يمتنع عن المواجهة قد يُعتبر خاسراً أو ضعيفاً في سياق المنازلة الكلامية. فيضطر الاسكندري، وهو الشحاذ الحريص على جمع المال إلى شتم صاحبه شتما قبيحاً مقذعاً، كأن حروف كلماته ركبت منالقاذور ات فيجيبه الشحاذ الآخر بشتم أقبح منه وأقذع وهذا يعني أن كل طرف كان يحاول التفوق على الآخر بالسب وهو نموذج لمواقف جدلية في المقامات تظهر براعة الشخص في الكلمات وبسرعة البديهة حتى لو ذلك عبر ألفاظ قاسية وقدرة.

ونجد البديع أيضا يحتقر شخصياته في المقامة البغدادية حيث يصوّر فيها عيسى بن هشام محتالا خبيثاً، لا يراعي الأخلاق، بل همُّه أن يأكل ويشبع. فيدبر حيلة حقيرة، يوقع بها سواديا في فخه فيتغذى من حيث لا يدفع أجر الغداء مع أنه هو الذي دعا السوادي إلى ذلك، ثم أن البديع يسخر من السوادي المحروم نفسه، وتبدوا هذه السخرية في موقف عيسى بن هشام منه

[1]- ينظر: بديع الزمان الهمذاني، المقامات، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، المقامة الدينارية، ص 487.

2- **الشخصية:** هي المحور الرئيسي للمقامة، وهي الشخصية التي تدور حولها الاحداث والمواقف، وغالبا ما يتميز البطل بالذكاء والفصاحة ويكون قادراً على مواجهة المواقف المختلفة بأسلوب متميز يجذب القارئ.

وهو موقف دنيء حقير. حيث يظهر عيسى بن هشام محتالا خبيثا، همُّه الأساسي أن يأكل ويشبع دون أن يدفع ثمناً فيدبر حيلة دنيئة يستدرج بما رجلاً سواديا إلى مأدبة دعا إليه ظاهرا بينما يقصده باطنا ليجعله يقع في الفخ ويتحمل هو كلفة الغذاء، وهنا تتجلى الملوقة الأخلاقية فالداعي هو الأكل والمدعو هو الدافع في انقلاب فجّ للقيم الإنسانية.

فهنا الهمذاني يريد أن يفضح الانحطاط الأخلاقي لبعض الناس في المجتمع ويكشف قبح الاحتيال والاستغلال الطّبقي ويجعل السّخرية أداة نقد لاذعة، لا للضحك وحده جل للتّقويم والتعرية.[1]

والشخصيات الرئيسية عند البّديع لم تكد تتجاور بضع شخصيات أقام عليها مقاماته المختلفة، كلها وأهمها: الاسكندري نفسه أقام ثم عيسى ابن هشام الذي كثيرا ما يقوم بالدور الرئيسي في المقامة حسبما نجد في البغدادية والأسدية، ثم التاجر البغدادي الثرثار الذي يقوم بدو البطولة في المضيرية، ثم شخص أطلق عليه بشر بن عوانة في البشرية، ثم الصدَ يمري في المقامة الصيمرية، وصاحب الحمّام في الحلوانية.

أمّا الشخصيات الأخرى فإنها على كثرتها في مقاماته واضطرابها فيها هنا وهناك فإنّها ثانوية أعمال.[2]

كان البديع يطور العقدة تبعاً للمواقف القصصية والأفكار التي يعالجها في المقامة ولم يكن يلتزم بعقدة قصصية واضحة بالمعنى المعروف في القصة الحديثة ولم يكن كالحريري أو اليازجي لأن المقامة لا تفهم ولا تقيّم إلا في ضوء السياق العام للفّن السردي القديم.

---

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص 488.

[2]- ينظر: شوقي ضيف، فن القصّة، د.تح، دار المعارف- القاهرة، د.ط، ص 103.

والبديع كثير ما أعرض عن فكرة الكدّية في المقامة إعراضاً تامة، وأقامها على فكرة جديدة مشوقة لا يعرف منها قارئ مقاماته قبل القراءة شيئا، وذلك كما نجد في الصيمرية، والأسدية والبغدادية والمضيرية والموصلية والحلوانية والبشرية مثلا. وهذه المقامات تعتمد على الإدهاش أكثر من اعتمادها على عقدة معقدة والقارئ لا يكاد يبدأ القراءة حتى يندفع بفضول قوي لمعرفة الذّهاية ومعرفة حل العقدة التي تبرز بعض عناصرها أحياناً منذ بداية القصة أو المقامة وأحيانا لا تشعر بها إلاّ في وسطها رغم أن معظم المقامات تنتهي نهاية واحدة لأن التشابه نابع من طبيعة الفن نفسه وأن الهمذاني اعتمد على خطة فنية عامة يكررها مع تنويع في التفاصيل.[1]

3- **العقدة:** في مقامات البديع القصصية فنية، قوية، لا تقل عن أي عقدة في أي عمل قصصي فني وغالباً ما تقوم على الصراع الحاد بين قوى متعارضة وهذا الصراع قد يبلغ ذروته حتى يفضي إلى هلاك شخصيات أو انكشاف مصائرها وهو ما يدفع القارئ إلى التعلق بالأحداث والرغبة في معرفة النهاية ومثال ذلك في المقامة الهمذانية التي يجب على القارئ أن يتطلع إلى معرفة مصير عيسى بن هشام، وقد قتل اللص أحد أصحابه وشدّ أيدي الآخرين فهنا العقدة تقوم على الصراع بين الخير والشر، وهي عقدة إنسانية عالية تعكس

طبيعة النفس البشرية، ومثل ذلك يقال في البشرية التي تقوم العقدة فيها على حب معرفة مصير بشر بن عوّانة والصراع الناتج عن المواجهة المباشرة كقتال الأسد ثم الأفعى ثم قتال الفارس المجهول وكل هذه الأحداث المتتابعة تعد نتيجة لصراعات حادة بين الحيوانات والشخصيات من جهة والشخصيات بعضها مع بعض من وجهة أخرى.

[1]- ينظر: د. عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، د.ت، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبع بمركب الطباعة - برغاية، ص 488.

وهذا الصراع النفسي العنيف هو جوهر العقدة القصصية وتؤثر بقوة في نجاح القصة لأن القارئ يميل إلى الانتصار للخير ويتشوق لرؤية انتصار الأخيار على الأشرار ولهذا تكون العقدة النفسية غالبا شديدة التأثير.

والعقدة ليست دائما قائمة على العنف أو القتال بل أحيانا تقوم على حب الاستطلاع أو سوء الفهم ومثال ذلك في المقامة المضيرية التي دعا فيها التاجر الثرثار الاسكندري إلى الطعام والاسكندري يريد الطعام لا الكلام، والتاجر يريد الكلام لا الطعام فتقوم العقدة على اختلاف الرغبات وسوء التفاهم بين الشخصيتين، فأحدهما يريد أن يتكلم فقط، والأخر يريد أن يأكل فقط.[1]

فالعقدة تعد عنصرا أساساً من عناصر المقامة إذ تقوم عليها حركة الحدث وتنامي السّرد وهي تمثل لحظة التوتر والصراع التي تشد القارئ وتدفعه إلى متابعة الأحداث انتظاراً للحل.

وتقوم العقدة في المقامة غالباً على صراع إنساني أو اجتماعي كالصراع بين الخير والشر أو على الطمع وحب العيش وقد تنشأ أحياناً من سوء الفهم أو حب الاستطلاع لا من الصراع العنيف.

4-أعلام المقامة:

كان بديع الزمان الهمذاني (357 – 398 هـ) وأبو القاسم الحريري (446 - 515 هـ) من أبرز كتاب المقامات في العصر العباسي، وتتناول السطور القادمة أهم السمات الأدبية لدى الأديبين، وقد كان بديع الزمان أول من أطلق اسم المقامات على العمل الأدبي من إنشائه وقد لاقت مقاماته قبولا في نفوس معاصريه، وأظهر قول القلقشندي: وأعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات علامة الدّهر وا ٍمام الأدب البديع الهمذاني.[2]

[1]-ينظر: مرجع نفسه، ص 490.

[2]- ينظر: القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د.تح، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1407 هـ/ 1987 م،

1.بديع الزّمان الهمذاني:

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان.[1] وقد ولد في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة[2] ويصف الثعالبي بديع الزمان بقوله: إنه كان خفيف الروح، حسن العشرة، ناصح الظرف، عظيم الخلق، شريف النفس، كريم العهد خالص الوّد، حلو الصداقة، مر العداوة،[3]وقد كان البديع صاحب عجائب وبدائع وغرائب، وكان إذا سمع قصيدة طويلة تزيد على خمسين بيتا مرة واحدة فقط، حفظها كاملة منأولها إلى آخرها، لا يغير حرفاً ولا يخلّ بالمعنى، ولا يقدم أو يؤخر.

وكان يقرأ الأوراق والكتب نظرة سريعة خاطفة دون تدقيق طويل، ثم يعيد ما قرأه سردا كاملا [4]بها وكذلك له غرائب أخرى في الحفظ والإنشاء، وكان إذا كتب كتابا أو رسالة يبدأ من آخر سطر ثم يرجع إلّو له ومع ذلك يخرج الكلام متماسكاً صحيحاً .

ويصح لنا أن نقول أن أدب البديع صورة لشخصيته وحياته، وبديع الزمان كان متقلبا في أحواله كثيرا ما عصفت به أحداث الزّمان وتعرض للسرقة كما يخبرنا في رسائله[5] وهو مقبل على الحّياة يريد أن ينال منها كل ما يستطيعه ولا يهمّه في ذلك شرف الأسلوب وكل هذا موجود في مقاماته التي وصلتنا، أي أن بديع الزمان عاش حياة غير مستقرة، تنقل بين

---

[1]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، ط 1، 1367هـ/ 1948 م، ج1، ص 109.

[2]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: د. أحمد فريد رفاعي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، د. تح، 2 ص 163 – 163.

[3]- ينظر: أبي منصور عبد الملك الثعالب النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـ - 1983 م، ج 4، ص 156.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 200.

[5]- ينظر: أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، رسائل بديع الزمان الهمذاني، تح: د. إحسان ذنون الثامري، دار الذخائر، القاهرة: المكتبة العمرية 2021، ط 1، 1439هـ-2018 م، ص 49.

المـّدن وذاق الفقر والغـّنى وتعرض للسرقة ومكائد الناس كما عانى من قسوة الزمان وتقلباته، ويرى بدوي طبانة أن أدب بديع الزمان شعراً ونثراً يجسد صور ة عن شخصية، ومرآة تعكس مكنونات نفسه وطبعه ومصادر ثقافته الأدبية، ليمثل شكلا ظاهرا للقيم التي حدّدها لسيرة حياته الخاصة التي حقق شهرته ونبوغه الأدبي وما يصبوا إلى الحقيقة من مكاسب مادية . فمقاماته ورسائله تعكس سعيه في تحصيل عيشه.[1]

وهذا يعني أنّ بديع الزمان الهمذاني لا يمكن فصله عن حياته الشخصية وظروفه الاجتماعية وأن نثره وشعره يعكسان حياته انعكاسا كاملاً فهما يصوران شخصيته الذكية المضطربة في العيش، لذلك يعدّ تراثه صورة واضحة المعالم لذاته وتجربته الإنسانية. وقد كان بديع الزمان الهمذاني شديد التمسك بمذهب أهل السنة والحديث[2] ولعل هذا يفسر لنا سبب هجومه الشديد على المعتزلة في المقامة المارستانية[3] وهذا ينفي ما ظنه أحمد أمين من أن البديع ماكراً مخادعاً إذ سمّى المقامة مارستانية وجعلسبّهم على لسان مجنون كأن المعتزلة لا يسهم إلا مجنون، وذلك لأن البديع كان يميلكما قلنا لفكر أهل السنّة ويتعصب لهم،[4] وقد كانت المناظرة التي دارت بينه وبين الخوارزمي سبباً في علو منزلته وقد يرى الثعالبي أنه نشب خلاف بين الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي فكان ذلك سبباً في انتشار سمعة الهمذاني وارتفاع مكانته، وتعجيل نجاحه واتساع ذكره، إذ لمكن يظنّ أن يتوقع أن يجرأ أحد من الأدباء أو الكتاب أو الشعراء على منازلة الخوارزمي أو مجاراته، فلما واجه الهمذاني ودخَل معه في منافسة وتبادل الرّسائل والتفاخرات والمناظرات اشتد بينهما الجدل

[1]- ينظر: بدوى طبانة، بديع الزمان الهمذاني، مجلة الهلال، العدد 9 – سبتمبر 1973، ص 56، 57.

[2]- ينظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1993 م، ج2، ص 161.

[3]- ينظر: بديع الزمان الهمذاني، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، تح: محمد محي الدين، عبد الحميد، بيروت، د.ط، ص 150، 161.

[4]- ينظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، د.تح، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1973م، ج4، ص 61.

وازداد التعدّي حتى بلغ الأمر غايته، وقد كانت هذه المواجهة الأدبية نقطة انعطاف في حياته فقد أظهر فيها قدرة فائقة على البلاغة وسرعة البديهة وقوّة الحجّة، ما جعله يجرؤ على منافسة علم من أعلام الأدب في عصره، ولم يكن هذا الأمر متوقعاً، لكن نجاحه في المناظرة لفت الأنظار إليه، وصار معروفاً، وارتفعت منزلته بين الأدباء وانتقل من حال الخمول الشّهرة الواسعة، لتكون تلك المناظرة سبباً مباشراً في تثبيت اسمه واحداً من كبار أعلامالأدب العربي، وانتهى الأمر بانتصار البديع مما أدى لعلو منزلية وإقبال الدّنيا عليه.[1]

ويشكك مرجليوث في وقوع المناظرة أو في نتيجتها التي قيل إنّها انتهت بانتصار بديع الزمان على الخوارزميولكننا نظن أنها صحيحة، لأن الثعالبي معاصر البديع، قد ذكرها وأفاض في الحديث عنها ممّا لا يجعلنا نميل للظنّ بنفيها أو الشك في حدوثها.

توفي بديع وهو شاب في سنة 398 هـ،[2] وقد قيل في خبر موته إنه مات مسموماً وقال الحاكم أبو سعيد الرحمن بن محمد بن دوست: وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة وعُجِّل دفنه فأفاق في قبره، وسُمع صوته بالليلوأنه نُبِش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر.[3] يفيد القول إن بعد دفن بديع الزمان الهمذاني سمع له صوت ليلاً من قبره، فلما اشتد الأمر على الناس فتحوا قبره فوجدوه في هيئة تدلّ على الفزع الشديد قابضا لحيته وكأن الخوف قد استولى عليه حتى لحظة موته الثانية، فمات من شدة هول القبر.

---

[1]- ينظر: أبي منصور عبد الملكبن محمّد بن إسماعيل الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م، ج4، ص 258.

[2]الإينظرم:الحافظ الذهبي، العبر في خَبَر مَنْ غَبَر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 2، ص 142

[3]- ينظر: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تح: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ج 1، ص 111.

وقد بقي لنا من تراث بديع الزمان الأدبي مقاماته التي سوف نخصّص الحديث عنها ورسائله التي بلغ عددها 233رسالة وأكثرها في علاقاته الخاصة وفي مسائل أدبية وهي تتضمن رسائله إلى الخوارزمي. وقد جمعت الأخيرة وحدها في نسخة بالمتحف البريطاني.[1]

وعثر الثعالبي في يتيمة الدّهر على أربع مختارات من شعر البديع، واختار ياقوت الحموي يشعره في معجم الأدباء، أمّا الديوان الذي ذُكر بالقاهرة سنة 1902م على يد عبد الوهاب رضوان ومحمد شكري ناقص إذ لا يضم سوى 84صحيفة، وأغلب قصائد البديع أنشأها في مدح سادته.[2]

من تناقضاته بأسلوب أدبي بليغ. وقد تختلف مواضيع المقامات ما بين الاحتيال والوعظ والكدية والمناظرات الأدبية والقصص الخيالية ولكن قصص الاحتيال وطرق المحتالين هي

4- مقامات بديع الزمان:

تعد مقامات بديع من أهم الإنجازات الفنية في النثر العربي إذ شكلت مقطعا بارزاً في مسار السرد الأدبي، وأسست دعائم فن نثري جديد يمتزج بين الحكاية القصيرة والطابع الفكاهي والنزعة الوعظية والنقد الاجتماعي في إطار لغوي يقوم على السجع والمحسنات البديعية والتكثيف البلاغي، فلا يمكننا التأكيد بالعدد الدقيق للمقامات التي ألفها بديع الزمان الهمذاني وقد يشير الثعالبي إلى أن بديع الزمان الهمذاني أملى ما يقارب أربعمائة مقامة، جعله بطلها أبا الفتح الاسكندري، وصور من خلالها حياة الكدية وأساليب الاحتيال والتكسب[3] وهذا يعني أن بديع الزمان كان غزير الإنتاج شديد التمكن من البيان وجعل أبا الفتح الاسكندري مصوراً فنياً جامعاً لمقاماته واستثمر شخصية المحتال المتسول ليكشف

[1]- ينظر: كارل بروكمان، تاريخ الأدب العربي، تر: د.عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط5، 1983م، ج2، ص 114.

[2]- ينظر: حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، د.تح، دار التعارف للمطبوعات، مج 6، ص 508.

[3]ينظر أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، تح: د . مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ج 4، ص 257.

عيوب المجتمع ويسخّر من تناقضاته بأسلوب أدبي بليغ، وقد تختلف مواضيع المقامات ما بين الاكتئاب والوعظ التي لها النّصيب الأوفى في المقامات.[1]

والمقامة كما وصلت إلينا هي نوع من الحكايات القصيرة تروى على لسان أحدهم وبطلها رجل أحكم التخيّل وقصر همّه على تحصيل الطفيف من الزرق ويوصف عادة بالدهاء والتكدية غايتها لغوية أدبية إلى جانب غايات أخرى قصدها بديع الزمان وبعض مقامات بديع الزمان قصيرة لا نجد فيها أثراً لحكاية أو لقصة، لكن أكثر مقاماته فيها العنصر القصصي وروح الفكاهة.[2]

ثم ينتقل أكثر الباحثين إلى أن عرض بديع الزمان من مقاماته هو تلقين الناشئة وتعليمهم أي أن للمقامات هدفاً تربوياً وتعلمياً[3]. وللبديع أهدافا أخرى غير التعليم المباشر؛ فالفرض التعليمي ليس بالصورة التي يتخيّلها بعض الباحثين لأن ما نراه في المقامات من قصص الحيل والمحتالين وأساليب الاحتيال كالمقامة الرصافية[4] كلّ هذا يتنافى مع الأسلوب التربوي القائم على التقويم والإصلاح، ولو كان بديع الزمان يقصد تعليم الناشئة فإن ما يقدمه لهم هو أساليب الاحتيال والكسب بالحيلة لا القيم الأخلاقية أو المبادئ التربوية السليمة.

وكذلك في رأينا أن بعض المقامات يظهر فيها إبراز بديع الزمان لثقافته، فإن أكثر المقامات

---

[1]- ينظر: موسى سليمان، الأدب القصصي عند العرب، د.تح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط4، 1969م، ص 214.

[2]- ينظر: أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، د.تح، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1960م، ص 362.

[3]- ينظر: د. شوقي ضيف، فن المقامة، د تح، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1990م، ص 184.

[4]- ينظر: أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، د.تح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2005م، 1426هـ، ص 223.

ليس فيها ذلك الأمر، هذا إلى جانب مقاماته التي يمدح فيها خلف بن أحمد، فهذه لا علاقة لها بتلقين الناشئة[1]وهذا يعني أن ّ إظهار الثقافة عند بديع الزمان أمر عرضي لا جوهري في المقامات يبرز في سياقات خاص ّة كالمديح بينما تبقى الغاية الأساسية في أغلب مقاماته هي الإمتاع والسخرية والنقد الاجتماعي لا الاستعراض العلمي.

والواضح أن بـ ّديع الزمان قد أنشأ مقاماته بتلك الطريقة التي يظهر فيها ثقافاته المتنو ّعة وقدرته على الوصف والس ّرد وا ٍقامة المناظرات والأحاجي، ليظهر على كتاب عصره خاصة الخوارزمي، ويكفي أن تعلم أن بديع الزمان قد تعدى الخوارزمي بأن يأتي بعشر مقامات على شاكلة مقاماته.

فبديع الزمان قد قصد من مقاماته أن يجعلها بأسلوبها النثري تنافس الشعر في أعراضها وصوره وقد تم للبيع ما أراد.

5-خصائص المقامة:

تعد المقامة فنًّا أدبيا عربيا مميز ًا ظهر بهدف الإقناع والتعليمفي آنٍ واحد، حيث تجمع بين السرد القصصي والأسلوب البلاغي، وقد عرفت بخصائصها الفنية الخاص ّة التي جعلتها تلفت عن باقي الفنون الأدبية سواء ً من حيث اللغة أو البناء أو الموضوع.

تمتاز المـ ّقامة بأسلوب سردي حكائي خاص يوضـّع فكرتها ويخدم الهدف الذي تسعى إليه.

- تعتمهلى وجود راوٍ وبطل رئيسي، إلى جانب شخصيات ثانوية، وغالبـ ًا ما تكون هذه الشخصيات خيالية وغير حقيقية.
- تحتوي على اقتباسات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية، بالإضافة إلى أمثال وحكم ومواعظ، ويكون هدفها الأساسي هو تسليط الضوء على قضية معينة بطريقة أدبية.

[1]- ينظر: د. علي محمد السيد خليفة، دراسات في فنون النثر العربي القديم، د.تح، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2013، 144.

- تعمل على إثراء المعرفة الأدبية واللّغوية.
- تمتاز المقامة بكثرة الوصف، حيث يتم فيها وصف المكان والزمان وكذلك الشخصيات، سواء من حيث مظهرها الخارجي أو حالتها الداخلية.[1]
- ترتكز على المحسنات البديعية بشكل كبير مع الالتزام بالسجع، وهذا يجعل أسلوبها البلاغي واضحاً وجميعاً ويظهر ذلك من خلال استخدام أساليب لغوية مميزة مثل: الجناس والطباق وغيرها، مما يزيد النص جمالاً وقيمة أدبية.
- تتميز المقامة باستعمال ألفاظ عربية صعبة وغريبة، لذلك فإن معظم أفكارها تكون مرتبطة بكلمات غير مألوفة عند الكثير من النّاس الذين يقرؤونها أو يسمعونها.[2]

تعدّ المقامة نوعاً من الحيلة الأدبية التي استخدمها بديع الزمان وغيره، لعرض حادثة معيّنة وفي الوقت نفسه لإبراز أسلوب لغوي جميل ومميّز. فالأهم في المقامة ليس الحادثة نفسها التي يتعرض لها البطل، بل الطريقة والأسلوب التي تُعرض به هذه الحادثة.[3]

[1]- ينظر: محمد هادي مرادي، فن المقامات النشأة والتّطور. دراسة وتحليل، مجلة التراث الأدبي، السنة الأولى، العدد 4، 1388هـ، ص 133.

[2]- ينظر: عبد الغني عبد اللّه، ديوان بديع الزمان، د.تح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ، ط3، ص 15.

[3]- ينظر: شوقي ظيف، المقامة، د.تح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1954م، ص 09.

خلاصة:

فن المقامة يعد من أبرز الفنون النثرية التي تعكس الذوق الأدبي الرفيع والإبداع البلاغي في التراث العربي يتميز هذا الفن بالجمع بين القصصي والخطابي، حيث تحتوي المقامات على عناصر السرد القصصي والحكاية، إضافة إلى البلاغة والفصاحة التي تظهر من خلال أسلوب المحسنات البديعية والتراكيب اللغوية المُتقنة، ويظهر فن المقامة قدرة الكاتب على التلاعب باللغة وإيصال المعنى بأسلوب جذّاب يجمع بين الطرافة والعمق الفكري، مما يجعل المقامة مرآة للمجتمع وثقافته وأخلاقه وعاداته. وقد يمثّل بديع الزمان الهمذاني أحد أعلام هذا الفن،إذ كانت مقاماته نموذجاً للأناقة اللّغوية والتّنوع الأسلوبي، حيث امتزجت الطرافة بالنقد الاجتماعي والفكاهة، وهو ما يجعل المقامة أكثر من مجرد نص أدبي، بل تجربة فنية متكاملة تجمع بين التسلية والفائدة. ودراسة فن المقامة لا تكتمل إلا بفهم دور الحجاج اللغوي والمحسنات البديعية في بناء النصوص.

ومن هذا المنطلق تتجاوز المقامة كونها لعبة لغوية إلى خطاب حجابي يستثمر بديع الزمان لتثبيت الأفكار وتكريس القيم، وبناء صورة المتكلم والتأثير في وجدان السامع وعقله معا.

وعليه يسعى هذا الفصل إلى إبراز حجاجية المحسنات البديعية في فن المقامات، والكشف عن دورها في تحقيق الإقناع وبيان كيفية توظيفها داخل البنية السّردية والبلاغية لفن المقامة.

الفصل الأول

بلاغةالمحسّنات البديعية

تمهيد:

تعدّالمحسّ نات البديعية من أبرز مظاهر الجمال في البلاغة العربية، اذ تعنى بتزيين الكلام وتحسينه بما يحقق التأثير ولإقناع في نفس المتلقي. وقد نشأت في إطار تطور الدراسات البلاغية عند العرب، خاصة مع جهود علماء مثل عبد القاهر الجرجاني والسكاكي، حيث انتقلت من مجرد ملاحظات ذوقية الى علم منظّم له قواعده ومصطلحاته. ولا تقتصر أهمية المحسنات البديعية على الجانب الشكلي فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى خدمة المعنى وتقويته، إذ تسهم في توضيح لأفكار وتكثيف الدلالة وا ٍبراز البعد الحجاجي في الخطاب. وتنقسم المحسنات الى نوعين: محسنات لفظية يكون التحسين فيها راجعا إلى اللفظ مثل الجناس والسجع، ومحسنات معنوية يرتبط جمالها بالمعنى مثل الطباق والمقابلة. وقد أسهم هذا التنوعوفي إثراء النصوص الادبية ومنحها طابعا فنيا مميزا، يجعلها أكثر جاذبية وتأثيرا، وهو ما يبرز الدور الحيوي للمحسنات البديعية في بناء الخطاب لأدبي والبلاغي على حد سواء.

المبحث الأول: مفهوم البديع.

1-**لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور بَدَعَ الشيء يَبْدَعه بدعاً وابتدعه، أنشأه وبدأه، والبديع: المحدث العجيب، وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى،لإبداعه الأشياء وإحداثإياها، والمبدع من بَدَعَ الخَلْقَ أي بدأه والله تعالى: بديع السماوات والأرض أي خالقهما ومبدعهما[1].

فكلمة البديع تعني في معناها اللغوي الجديد والمحدث والمخترع.

وقد عرف المخشري البديع قائلاً فعيل بمعنى مُفْعِل أو بمعنى مَفْعُول ،وبَدَعَ الشَّيء وبَدَعَ الثوبيبدعه بالكسر بَدْعاً، وابْتَدَعَهُ اخترعه[2] وبَدَأَهُ أي أنشأه والبَدْع والابتداع يدلان علىالإحداث والاختراع والجدّة، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء، وإحداثه إيّاها، فهو البديع الأول قبل كل شيء. وابدعت الشيء: اخترعته لا على مثال سبق. والبدْع في الكلام: أكثر فيه.[3] وقد يأتي بمعنى اسم الفاعل في قوله عزّ وجلّ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة الأحقاف، الآية: 09. أي مبدعهما والبديع: هو الجديد والمخترع فالبديع من الحبال: الذي أبتدي فَتْلَه أي بدأ التخطيط أو التمهيد للأمر بطريقة غير مباشرة، وشيءٌ بديع: أي الجديد، ولكونه بالبديع: مثل البداية فربما انساق المعنى إلى مفهوم مجازي في القول: أبدعتُ جَنَاكَ هذا وأبْدُ لي فلان إذا لعنيد كَلَّفْتَه به في أمر وثَقْتَ به في كفايته وصلاحه.[4]

---

[1]- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، د.تح، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج2، مادةبَدَعَ ، ص37.

[2]- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، مادةبَدَعَ ، ص32.

[3]- المرجع نفسه، ص 40.

[4]- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري، اساس البلاغة، مرجع سبق ذكره، ص34.

ويعرفه فواز بن فتح الله (ت 2012م) الراميني المخترع الموحد على غير مثال سابق، وهو من الفعل بَدَعَ الشيء أبعه أي اخترعه لا على مثال،[1] وهذا يعنى الشيء الذي ينشأ أو يصنع من غير أن يقلد فيه شيء قبله، أي لبس له نموذج سابق يُقَلَّد أو يُتبع بل هو اختراع جديد مبتكر، وقد يعرفه أحمد شعيب بأنه الجديد المخترع، لا على مثال سابق ولا اِتِّباعْ متقدّم، تقول بدّعَ الشيء وأبدعه فهو مبدع.[2] وقد ورد في قوله تعالى:﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾[3]،

أي أن النبي صل الله عليه وسلم ليس أول رسول أرسل إلى الناس، جل هو واحد في سلسلة الرسل الذين أرسلهم الله من قبل، فالآية هنا تارة على استغراب المشركين من رسالة النبي، كأنّهم تعجبوا من بعثته، فالرسالة ليست شيئا جديدا أو غريبا جل سنّة الهية قديمة وقد سبقه أنبياء كثيرون جاءوا بالهداية. أما أحمد الهاشمي (1943م) فقد عرّف البديع بأنه المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ ومشتق من قولهم بدع الشيء أبدعه، اخترعه لا على مثال،[4]وقد عرفه كذلك يوسف مسلم أبو العدوس بأنه الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم، تقول بَدَّعَ الشيء وأبدعه فهو بادع ومبدع.[5]

والبديع في الدّلالة المعجمية يحمل معنى طلب الجدّة مع تباين الاشتقاق لأن البداية والجدّة لا تعني القوة في كل الأحوال، فربّما كان الضعف والخمول في أول وهلة مع الابتعاد عن الدّلالة الحقيقية لارتباطها بالقدرة الخارقة،لأنّها من أسماء الخالق سبحانه،[6] وهذا يعني أن

---

[1]- ينظر: فواز بن فتح الله الراميني، البلسم الشافي في علوم البلاغة: البلاغة والمعاني والبديع، د.تح، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، العين، ط1، 1430هـ/2009م، ص298.

[2]- ينظر ابن عبد الله أحمد شعيب، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، د. تح، ابن خلدون للنشر والتوزيع، ص 360.

[3]- سورة الأحقاف، الآية 9.

[4]- احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1429هـ/1999م، ص3-ص8.

[5]- يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني -علم البيان- علم البديع، د. تح، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2007م، ص237.

[6]- ينظر: المرجع نفسه، ص 35.

الدّلالة المجازية لكلمة البّديع، تستعمل أحيانا استعمالا يحمل معنى طلدّ د أو المفارقة، فيراد بها لخَ رابة أو الخروج عن المألوف، لا الجودة ولافوالتّ ق، فكل جديد ليس بالضرورة حسنا أو قويا، وقد يكون ضعيفا أو خاملاً في أول وهلة لعدم اكتماله.

2- **اصطلاحا:** يعرف البّديع في الاصطلاح عند فواز فتح الله الراميني بأنّه علم ينصب على تزيين الألفاظ أو المعاني وتجميلها بألوان بديعية من حيث اللفظ والمعنى بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتأديته المعنى المراد بعيدا عن التهلّ والتّعقيد،[1] وهذا يعني أن علم البديع في الاصطلاح ليس هو أساس البّلاغة ولا شرطصحّتها الأول، بل هو مرحلة تكميلية تأتي بعد تحقيق أمرين: الأول مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهو مجال علم المعاني أما الثاني وضوح الدّلالة وأداء المعنى المراد بلا لُبس وهذا مجال علم البّيان، فإذا تحقق هذان الأصلان لجه البّديع ليؤدي وظيفة التحسين والتجميل.

وقد عرفه كل من يوسف مسلم ابو العدوس[2] وابن عبد الله احمد شعيب[3]: بانه علم يعرف به وجوه تحسين الكّلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدّلالة، وهذا يعني أن البديع علم يهتم بفنون تحسين الكلام مع مراعاة الدّقة والوضوح أي الجمع من الجمال الفني والفاعلية الدّلالية للكلام.

يعرف الخّطيب القزويني مصطلح البديع بقوله:[4] "فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحّال، ووضوح الدلالة، فبين القزويني في مقولته أن يختص بدراسة الوسائل والأساليب الى تجمل الكلام وتزينه كالسّجع والجّناس والطباق

---

[1]- ينظر: فواز فتح الله الراميني، البلسم الشافي في علوم البلاغة البيان – المعاني- البديع، مرجع سبق ذكره، ص 300.

[2]- ينظر: د. يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني - علم البيان-علم البديع، مرجع سبق ذكره، ص 238.

[3]- ينظر: ابن عبد الله أحمد شعيب، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، مرجع سبق ذكره، ص361.

[4]- ينظر: الخطيب القزويني جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص477

والمقابلة وغيرها من المحسنات اللفظية والمعنوية، وأن الكلام يجب أن يكون موافقا للسياق والمقام، فلا قيمة للزينة البلاغية إذا كانت لا تناسب الموقف، لأنالبلاغة أو لا هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن يكون الكلام واضح المعنى غير غامض فإذادأّى التّكلف في المحسنات إلى تعقيد الفهم، فذلكيفسد البلاغة ولا يعدّ من البديع.

اما أحمد الهاشمي فقد عرف البديع فيكتابه جواهر البّلاغة بأنه علم يعني بدراسة الوسائل التي تجمل التعبير وتزيده طلاوة وجمالا، فتمنحه اشراقا وتأثيرا في النفس، شريطة أن يكون الكلام في الأصل مناسبا للمقام ومستوفيا لشروط البلاغة.[1]

المبحث الثاني: النشأة والتطور:

أشار الجاحظ (255ه) إلى نشأة البديع، وذكر أن هذا الفن لم يكن جديدا تماماً، بل كانتجذور ه موجودة عند الخطباء والشعراء الأوائل الذين جمعوا بين جودة الشعر وفصاحة البيان وحسن الألفاظ ويضرب أمثلة بمن عرفوا بجودة الصياغة والبيان ككلثوم بن عمرو العتابي و ابو عمرو بن العلاء وغيرهما ممن اعتنوا بانتقاء الالفاظ وتحسين الأسلوب. ويرى الجاحظ أن البديع نشأ في الأدب العربي من التفكير المختلط والمجهود المشترك بين العرب و الفرس، ولم يكن خالصا من الفرس وحدهم الذين يعرفوه بميلهم إلى التعبير باللون، وقد نشأ البديع نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالفارسية في العصر العباسي، ومن الشعراء الذين استعملوا فنون البديع وتكلفوا به بشار بن برد ومسلم ابن الوليد ومنصور النمري، و أن المعاني عندهم أصبحت مصوغة بأساليب بديعية واضحة. فالبديع لم يظهر فجأة بل له جذور قديمة وازدهر في العصر العباسي عند المولدين وتأثر بالاحتكاك الحضاري بين العرب والفرس وأصبح اسلوبا مقصودا لتحسين الكلام وتزيينه،[2]وأن العباسيين الذين عاصروا

[1]- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، د. تح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص8-9.

[2]- ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص56.

ظهور البديع كانوا يردونه إلى مصادر عربية خالصة، اي أنهم لم يروا أنه من مستورد بل موجود في كلام العرب قديماً مما صرح به ابن المعتز في مقدمة كتابه، ففي هذا العصر انتشرت الصور البديعية في أساليب الشعراء فقام ابن المعتز (ت296هـ) بجمعها وتصنيفها في كتابه البديع[1] موضحا أن هذه الفنون ليست مبتكرة تماما، بل لها أمثلة سابقة في القرآن الكريم واللغة العربية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وأشعار القدماء من الكلام الذي سماه المحدثون البديع.

ولعل أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك المحاولة التي قام بها خليفة عباسي ولي الخلافة يوما وليلة ثم مات مقتولا وقيل مخنوقا سنة 296هـ، هذا الخليفة هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ولد سنة 247هـ، كان شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، ذائع الصيت بالإكثار من المحسنات البديعية، وكان أديبا بليغا مخالطا للعلماء والأدباء معدودا من جملتهم وله فنون شتى كديوان الشعر وطبقات الشعراء وكتاب البديع.

وقد الف كتاب البديع سنة 274هـ، فكان أول من نظم هذا الفنّ ودو ّ نه، وقد ألف ابن المعتز كتابه ردا على من زعم أن المحدثين هم الذين ابتكروا البديع كبشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبو نواس، وهنا يقول ابن المعتز في مقدمة كتابه:[2] "قد قدَّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس من حاول التشبه بهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأظهر عنه ودّل عليه"، وهذا يعني أن

[1]- ينظر: عبد الله ابن المعتز، كتاب البديع، تح: اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1402هـ/1982م، ص134.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص135.

البديعموجود من قبل في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الصحابة والأعراب واشعار القدماء، لكنها لم تكن مسماة بهذا الاسم.

وبعد ذلك يتبين أن بعض الشعراء أكثروا من استعمال البديع حتى غلب على شعرهم مثل حبيب بن أوس الطائي حيث بالغ في المحسنات في كثر التكلف والصنعة، فصار القارئ نادر ا ما يجد بيتا يخلوا من البديع، مما أدى أحيانا إلى الافراط والاسراف، وقد كان العلماء يشبهون الطائي في البديع بصالح عبد القدوس في باب الأمثال أي لو نشر بن أوس الطائي أمثلة البديع في شعره وجعلها أبياتا متفرقة لفاق أهل عصره وغلبهم في هذا الميدان.

وبعد ذلك يصرح ابن المعتز سبب تأليفه الكتاب، فيرى أن غرضه تعريف الناس بأن المحدْثَين لم يسبقوا المتقدّمين إلى البديع،[1] أي أن فنون البديع موجودة عند القدماء أيضا لكنه هو أول من جمعها ونظمها في علم مستقل.

وقد قسّم ابن المعتز البديع إلى خمسة أنواع أساسية: كالاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الاعجاز على الصدور والمذهب الكلامي، ثم أضاف محاسن أخرى للكلام وعد منها ثلاثة عشر نوعا كالالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذّم وتجاهل العارف والهزل الذي يراه به الجد وحسن التشبيه وحسن الابتداء وغيرها[2].

وهناك سؤال لابد أن يخطر لكل باحث في الطريقة العلمية التي سلكها ابن المعتز لماذا قسم كتابه إلى قسمين: اختص أحدهما باسم البديع واختص الثاني باسم محاسن الشعر أو الكلام وما الداعي إلى هذا التقسيم؟

يجيب ابن قتيبة... عن سر هذا التقسيم فيقول: "ذلك أن الأصناف الخمسة الأولى عرفها الشعر اء، وعرفها الجاحظ قبل ابن المعتز، فالاستعارة، والتطبيق والتجنيس، ورد الأعجاز على ما تقدمها. والمذهب الكلامي هي أوائل أصناف البديع التي ظهرت في شعر الشعراء

[1]- ينظر: عبد الله ابن المعتز، كتاب البديع، تح: أغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1402ه/1982م، ص5.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 135.

من أمثال مسلم، والعتابي وبشار، وأبي نواس (ت 194هـ) وغيرهم، فليس لابن المعتز في العثور عليها من فضل الازدهار إلى الشعر القديم ليرد على الشعراء المجددين دعوتهم في التجديد. أما صنوف القسم الثاني فهد اختراعه وحده، وقف عليها لما تتبع أشعار القدامى والمحدثين ودونها قبل أن يدونها غيره أو أطلق عليها أسماء لم تكن كلها معروفة قبله في مصطلحات البلاغة، وفي مصطلحات البلاغيين، لذلك فصل بين القسمين ليقول: هذا لكم وهذا لي، وهذا منكم، وهذا مني، وهو بهذا يدل بأفضليته في السبق فيقول: وما جمع فنون البـّديع، وما سبقني إليه أحد"[1].

ففي المقولة الأولى (ذلك أن... التجديد) تعني ان الأصناف الخمسة كانت معروفة لدى الشعراء القدامى، أي أنها ليست اختراعا جديدا وأن الشعراء القدامى والجاحظ (ت 255هـ) أشاروا وناقشوا هذه الأصناف البديعية قبل ابن المعتز (ت 296هـ)، أي أن ابن المعتز لم يكن مبتدعا في كشفها أو تعريفها، وأن الأصناف كالاستعارة والتطبيق والتجنيس لم تستخدم لأجل الاعجاز أو المذهب الكلامي، بل هي أصناف ظهرت طبيعيا في الشعر عند الشعراء القدامى وكانت واضحة في شعر الأوائل، وابن المعتز لم يبتدع هذه الأصناف البديعية، وانما ميزها ووضعها في إطار علمي وأعاد نسبها إلى الشعراء القدامى لكي يرد على الشعراء المعاصرين له الذين كانوا يدعون إلى التجديد أي أنه أراد الدفاع عن قيمة الشعر القديم مقابل التجديد الحديث.

أما المقولة الثانية (أما صنوف... أحد)[2] فهنا ابن قتيبة ميز بين نوعين من أصناف البديع، فالقسم الأول مأخوذ من الشعراء القدامى أمـّا القسم الثاني ابتكاره الشخصي أي أصناف جديدة لم يسبق له أحد إلى تصنيفها، ويرى أن الأصناف لم تأت من فراغ بل استند

[1]- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1119هـ، ج1، ص50.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 51.

إلى دراسة دقيقة للشعر القديم والجديثم دو ّ نهاوسجّ لها بشكل منهجي قبل أي شخص آخر، وقد ابتكر تسميات جديدة لبعض المحسنات وأعاد تنظيمها بطريقة علمية لم تكن مألوفة لدى البلاغيين السابقين، فهو لم يكتف بدراسة القديم ابل اضاف ابتكاراته الخاصة وهو بذلك يظهر مكانته العلمية والبلاغية.

أم ّ ا المقولة الثالثة (وما الجمع ... أحد)[1]، فيعني أن ابن المعتز يعلن سبقه العلمي في جمع أنواعالبّ ديع وتصنيفها في كتاب واحد، ويؤكد ان أحدا قبله لم يجمعها جمعاً منهجيا مستقلاً .

وقد ردّ ابن المعتز على اعتراض توقّعه من خصوم هذا التأليف، حيث يدافع عن منهجه في كتاب البديع فيوضح أنه اختار خمسة فنون أساسية فقط للتسيير والتنظيم، لا لأنه يجهل غيرها ويترك المجال مفتوح لمن يريد التوسع وقدردّ كذلك على من اعترض على حصر البديع في خمسة فنون، موضحا أن الحصر كان اختيارا منهجيا للتسيير، لا جهلا ببقية المحاسن ومجيزا لغيره أو يضيف ما يشاء.

فابن المعتز جمع الفنون البديعية تحت اسم البديع وقام بتجميع انواع الأساليب البلاغية التي تُحَسّ ن الكلام وتزيِّنه، فالصنعة البديعية لم تبدأ من ابن المعتز وحده بل كانت موجودة قبل عصره عند الشعراء والنقاد، لكن تطورت تدريجيا حتى استقرت كمصطلح علمي عند البلاغيين والجاحظ وابن المعتز تحدثا عن الصنعة البديعية وأن جذورها أقدم وترجع إلى شعراء كبشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبو نواس والنمري، أي أن المحسنات البديعية كانت ممارسة شعرية قبل أن تكون علما مدونا. ولما جاء قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) جمع سبعة وعشرين نوعا[2] من المحسنات البديعية وقد وافق في بعضها ابن المعتز الذي كان قد قسم البديع إلى سبعة أنواع وأضاف عشرين نوعاً أخرى ثم جاء أبو هلال العسكري (ت

[1]- ينظر: عبد الله بن المعتز، كتاب البديع، مرجع سبق ذكره، ص140.

[2]- ينظر:أبي الفر ج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1982م، ص370.

394هـ) فوسع دائرة أكثر، فلم يقتصر على المحسنات اللفظية فقط، بل أدخل ضمن البديع،[1] أساليب بلاغية كبرى مثل:التشبيه والايجاز والاطناب والسجع والازدواج وعدّ كذلك الاستعارة والمجاز من البديع.

وهذا يعني أن مفهوم البديع عنده أصبح أعم وأشمل، ولم يعد مقصور على الزخارف اللفظية فقط، لكن مع تطور الدرس البلاغي واستقراره، استقر التقسيم الثلاثي العلوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، فأصبح مصطلح البديع خاصا بالمحسنات اللفظية والمعنوية فقط، بينما فصلت التشبيهات والاستعارات والمجازات ضمن علم البيان، فمصطلح البديع ظل في البداية يطلق اطلاقاً عاماً على أساليب كثيرة كالتشبيه والتمثيل والاستعارة والتضمين،[2] أي انها كانت تشمل موضوعات مشتركة بين علوم البلاغة كلها.

وفي القرن الخامس الهجري ظهر أديب مغربى اهتم بالشعر و آدابه اهتماما كبيرا ودرس فنون البلاغة والبديع دراسة واضحة، وهو ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) الذي واصل العناية بالبديع ونشر ه في المغرب الإسلامي، حيث تناول في كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" ونقده الجمع والترتيب والاستقصاء، أي أنه جمع ما قيل قبله في صناعة الشعر ووسائله البيانية والبديعية ورتبه في أبواب، مما جعل الكتاب أقرب من موسوعة نقدية منه إلى دراسة تحليلية منهجية، حيث فصل بين البيان والبديع فجعل لكل منهما أبوابامستقلة مما يدلّ على أن البلاغيين بدأوايميّزون بين البيان والبديع، فالبيان وضوحالدّلالة وطرق التعبير، اما البديع هو الزينة اللفظية والمعنوية والمحسنات.

ثم بعد ذلك يعرف الاختراع امرؤ القيس ومن الشعراء المخترعين عنده أيضا طرفة بن العبد، ثم بعد ذلك يعرف التوليد بأن يستخرج الشاعر معنى جديدا من معنى قديم أو يزيد فيه

[1]- ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار إحياء الكتب العربية (عبسي البابي الحلبي وشركاه)، القاهرة، ص 770.

[2]- ينظر: عبد اللطيف النيلة، كتاب الأسرار، د.تح، كنانيش مراكش، العدد 4، ط1، 2017، ص14.

ويطوره، وهذا ليس سرقة بل تطوير وابداع،[1] وهذا يعني كتاب العمدة جمع مادة واسعة في البلاغة والنقد وميز بين البيان والبديع وشرح مفهوم الابداع الشعري من خلال الاختراع والتوليد وعدّ التوليد تجديدا مشروعاً لا سرقة.

وقد تناول ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة تسعة وعشرين فنّا، منها عشرون نوعا سبقه اليها ابن المعتز وقدامة وأبو هلال العسكري وهي: الاستعارة والإشارة والتجنيس والتصدير أوردّ الاعجاز على صدورها والمطابقة والمقابلة والتقسيم والترصيع و التسهيم والتفسير والاستطراد والالتفات والاستثناء وهو توكيد المدّح بما يشبه الذّم والتتميم والمبالغة والغلو والايغال والمذهب الكلامي والتضمين والتمثيل.

فابن رشيق القيرواني وضح الفرق بين الاختراع والإبداع في الشعر، ثم بين أن علم البديع يضم أنواعاً كثيرة من المحسنات البلاغية.

ثم جاء السكاكى (ت 626هـ) وهو اول من أطلق علم المعاني على المباحث التي بحثها فيه، وأول من أطلق على مباحث الشبيه والمجاز والكناية، وأول من حكم على علم البيان بأنه متنزل من علم المعاني منزلة المركب من المفرد، كما انه من فرق بين هذين العلمين على هذا الوجه من الضبط والتحديد.

وبعد أن خلّص السكاكي من بيان هذين العلمين في كتابه المفتاح، قال في شأن البديع"إذ تقرر أنّ البلاغة بمرجعيها، وأنالفصاحة بنوعيها، مما يكسوا الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فهاهنا وجوه مخصوصة كثير ا ما يصار إليها لقصد تحسن الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ"[2]، وهذا يعني أن البلاغة والفصاحة هما الأساس الذي يجعل الكلام

[1]- ينظر: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة هلال، ج 1، ص 232.

[2]- ينظر: أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، د.تح، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ص200.

جميلا ومؤثر ا في السامع، فالكلام إذا كان بليغا وفصيحاً فإنه يكتسب جمالا أوزينة في الأسلوب، ويصل إلى درجة عالية من الحسن والبيان وبين كذلك بعض الطرق والأساليب الخاصة التي يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب من أجل تحسين الكلام وتجميله، وهذه الأساليب تعرف بالمحسنات البديعية لأنها تضفي على الكلام جمالاً في المعنى أو اللفظ، ويبين السّكاكي أن المحسنات البديعية تنقسم إلى قسمين: محسنات معنوية ومحسنات لفظية. فالسّكاكي رغم تفريق البلاغين بين علم المعاني وعلم البيانوا ٍطلاق هذين الاسمين عليهما، فإنه يجعل علم البديع علما مستقلاً عنهما، بل اعتبر أن فنون البديع تشترك معها في الغاية نفسها، وهي تزيين الكلام وتحسنه وجعله أكثر جمالاً وتأثير، لذلك فإن المحسنات البديعية عنده ليست علما منفصلاً، وا ٍنما هي وسائل وأساليب تساعد على إظهار الكلام في أجمل صورة والارتقاء به إلى أعلى درجات البلاغة.[1]

وبعد ذلك جاء بدر الدين بن مالك (ت686هـ) فسمى المحسنات بعلم البديع في كتابه "المصباح في علوم المعاني والبيانوالبّديع" وهو تلخيص لكتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي من التعقيدات المنطقية والكلامية والفلسفية التي كانت الأساس التي يقوم عليه النص، وقد تجلت عبقرية ابن مالك التنظيمية في إعادة رسم خارطة العلوم البلاغية، فبينما كان يسير على نهج السكاكي في رد علمي المعاني والبيان إلى البلاغة، الا انه استقل بعلم البديع وجعله علماً قائما بذاته بعد أن كان ينظر إليه كملحق او تابع ممهدا بذلك الطريق لاستقرار علوم البلاغة الثلاثة بصورتها المعهودة، ولم يقتصر جهد بدر الدين على التنظيم وحسب بل امتد إلى التوسع النوعي والتحليل الوظيفي للمحسنات البديعية، حيث رفع عدد الأنواع البديعية إلى أربعة وخمسين نوعاً مقارنة بستة وعشرين نوعاً عند السكاكي وانفرد بتقسيم المحسنات المعنوية إلى قسمين جوهريين: قسم يخدم الإفهام والتبيين ويخاطب العقل

[1]- ينظر: د. أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، د.تح، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1388هـ/1969م، ص 252.

لتعزيز وضوح الفكرة مثل: المذهب الكلامي والاعتراض والمبالغة والتتميم والتقسيم والاحتراس والتذييل والتجريد وقسم يختص بالتزين والتحسين مثل: اللف والنشر والجمع والتقسيمو الجمع مع التفريق، مما منح البديع صبغة وظيفية تتجاوز الزخرفة اللفظية.[1]

وبعد بدر بن مالك جاء الخطيب القزويني (ت780ه) فعرف البديع بعلم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة، أي أن البديع لا يتعلق بأصل المعنى أو وضوحه، بل يأتي بعد تحقيق صحة المعنى وسلامة البيان ليزيد الكلام جمالا وزينة ومن هنا تحددت موضوعات البلاغة وانفصلت أقسامها الثلاثة واستقر هذا التقسيم إلى اليوم، وقد حصر وظيفة البديع في الزينة والتحسين فقط جعل المحسنات البديعية أمورا ليست أساسية تابعة لعلمي المعاني والبيان كأنها ذيل لهما لا تستقل بذاتها.[2] وهذا يعني أن القزويني أنقص من قيمةالبديع لأن بعض المحسنات البديعية ليست مجرد زينة شكلية بل تسهم في تقوية المعنى والتأثير الحجاجيوالإقناع وإبراز الفكرة. وهنا يقول: "وتتبعها وجوه أخرى تورث الكلام حسنا"،[3] فالقزويني يقصد أن هناك أساليب وطرقا بلاغية أخرى تأتي بعد تحقيق البلاغة الأساسية في الكلام، فتزيده جمالاً وحسنا، فالمتكلم أو الكاتب يهتم بأن يكون كلامه واضح المعنى وموافقاً لمقتضى الحال، وهذا ما يدرسه علم المعاني والبيان، فإذا تحقق ذلك جاءت بعده بعض الأساليب البلاغية التي تضفي على الكلام زينة وجمالاً. وهذه الأساليب هي ما تعرف في البلاغة بألوان البديع كالجناس والسجع والطباق والمقابلة وغيرها، فوظيفتها ليست إنشاء المعنى أو توضيحه، وانما تحسين الكلام وتزيينه حتى يكون أكثر تأثيرا في النفس وأجمل وقعا في السمع.

---

[1]- ينظر: د. عبد العزيز عتيق، علم البديع، د.تح، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ص54.

[2]- ينظر: محمد بن عبد الرحمن القزويني، تلخيص المفتاح، د.تح، مكتبة البشرى، كراتشي- باكستان، ط1، 1431ه/2010م، ص315.

[3]- ينظر: د. أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة، د.تح، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1388ه/1969م، ص252.

وكل هذا يعني أن بعض الأساليب البلاغية هي ألوان البديع، تأتي بعد تحقق البلاغة في المعنى والبيان، فتزيد الكلام جمالاً وحسنا دون أن تكون أساساً في بنائه.

المبحث الثالث:أنواع المحسنات البدّيعية.

تعد المحسنات البديعية من أهم المباحث التي تناولها علمالبدّيع في البلاغة العربية، إذ تعنى بإبراز جمال الكلام بعد تحقق شرطين أساسيين هما: مطابقة الكلام لمقتضى الحال ووضوح الدلالة، جاءت هذه المحسنات لتضفي على الأسلوب رونقا وطلاوة وتزيده تأثير ا في النفس، وقد أسهم البلاغيون منذ عصر ابن المعتز في كتابه البديع في جمع هذه الفنون وتعقيدها، ثم توسع فيها من بعده الخطيب القزوينيوغير ه، حتى استقر تقسيمها إلى نوعيين رئيسيين: لفظية ومعنوية.

أولا: المحسّنات المعنوية: هي التي يكون التحسين فيها راجع إلى المعنى أولا وبالذات ويتبعه تحسين اللفظ ثانيا وبالعرض، ويعرف هذا النوع من الآخر بأنه لو غير اللفظ بما يرادفه لبقى المحسن كما كان قبل التغيير،[1] وهذا يعني أن المحسنات البديعية يقوم جمالها أساسا على المعنى في المقام الأول وبالذّات، ثم يأتي تحسين اللفظ تابعا له وفي المرتبة الثانية بالعرض لذلك فإن أثرها لا يرتبط بصياغة لفظية معينة، إذ لو استبدل اللفظ بمرادف له لبقى المحسن محتفظا بقيمته الجمالية ولم يتغير تأثيره. ففي قول الله تعالى: ﴿وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى 43 وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا 44﴾ سورة النجم، الآية 43. هنا طباق بين أمات وأحيا، والطباق محسن معنوي، وعلامة كونه معنويا: لو غيرنا اللفظ بمرادفه في غير القرآن ووضعنا في مكانأضحك سرّ وفي مكان أبكى أحزن لم يتغير المحسّن الذي أضفاه الطباق على الكلام.

[1]- ينظر: د.عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، د.تح، دار الفكر العربي، 1419هـ/1999م، ص23.

1-**الطباق:** لغة: مأخوذ من قولهم: طابق البعير، أي وضع رجله في موضع يده ومشى على الأثر نفسه، ومن هذا المعنى جاء استعمال الكلمة للدلالة على الجمع بين شيئين على نسق واحد أو في موضع واحد، أي الموازنة والمقابلة بينهما.

أما اصطلاحا: أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين متقابلين أو متضادين في المعنى داخل جملة واحدة، بقصد إبراز الفكرة وتقويتها بالتبيان بين المعنيين، ولا يقتصر الطباق على الجمع بين الشيء ونقيضه الصريح مثل البياض والسواد أو الطول والقصر. بل يشمل كل معنيين بينهما تقابل أو تضاد، سواء أكان ذلك بالإيجاب امالسّ لب أو كان التضاد حقيقياأم اعتبار يا[1]، ومثال على ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، سورة البقرة، الآية: 258. فالطباق هنا بين كلمتي المشرق والمغرب، وهما لفظان متقابلان في المعنى، لأن المشرق ضده طلوع الشمس، والمغرب جهة غروبها، وقد جمع الله بينهما في جملة واحدة لإبراز التضاد بين الجهتين، وهذا يعد طباق تضاد حقيقي، وفي مثال آخر ﴿قَالَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، سورة البقرة، الآية: 258. فالطباق واقع بين الفعلين يحيي ويميت فهما متضادان، لأن الإحياء إعطاء الحياة، والأمانة سلبها، وهذا يسمى طباق تضاد حقيقي بالإيجاب كذلك لأن اللفظين مثبتان وليس أحدهما منفيا.

2-**المقابلة:** لغة: تعنى المواجهة والمعارضة بين الشيئين، فيقول: قابلتُ الشيء بالشيء، أي واجهته به وجعلته في مقابلته، بحيث يكون كل منهما في جهة تقابل الآخر أو يعارضها.

اما اصطلاحا: هي أن يذكر المتكلم معنيين أو أكثر بينهما توافق أو ارتباط، ثم يأتي بعدها بمعاني أخرى تقابلها وتضادها مع مراعاة الترتيب نفسه، أي تقابل كل معنى بما يضاده أو

[1]- ينظر: د. صابر جويلي، علم البديع نقطة ارتكاز، د.تح، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، 1437هـ/2017م، ص17-18.

يخالفه في الجملة تحقق التوازن والتناسق بين الطرفين، مما يزيد الكلام وضوحا وقوة وتأثير[1] كقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ سورة البقرة، الآية: 216. فقد ذكر اولا الكراهة وما يقابلها من الخير، ثم ذكر الحب وما يقابله من الشر، وجاءت الألفاظ المتضادة متقابلة ومنظمة في نسق واحد، وهذا يسمى مقابلة رباعية، وجاء في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾، سورة البقرة، الآية: 185. يبينه الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة أنه وجوب الصوم فقد أباح الفطر لصاحب العذر، وجعل في ذلك تسيرا على الناس وتجنبا على العباد، ففي الآية يوجد كلمتين في فقرة واحدة يريد الله بكم اليسر، وقد جاء بعدها في الفقرة الثانية ما يقابلها على الترتيب، ولا يريد بكم العسر، وهذا ما يسمى بالمقابلة التي تعرف بأنها أحد فنون الطباق، وتحقق عندما يذكر المتكلم معنيين متوافقين أو أكثر ثم يأتي بعدهما بمعان أخرى تقابلها وتضادها مع المحافظة على الترتيب بين الطرفين.

وبذلك تكون المقابلة أوسع من الطباق لأن الطباق يقتصر على الجمع بين ضدين فقط اما المقابلة تشمل أكثر من اثنين من المعاني.[2]

3- **التورية**: لغة: تعني أن تنشر الخبر الحقيقي ويظهر غيره، أي أن المتكلم يضع المعنى الحقيقي وراءه بحيث لا يظهر مباشرة، ويأتي بمعنى آخر يوهم السامع به أولا، وكأن المعنى المحجوب مأخوذ من خلفه.[3]

---

[1]- ينظر: صابر جويلي، علم البديع نقطة ارتكاز، د.تح: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، 1437هـ/2017م، ص17-18.

[2]- ينظر: يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني - علم البيان -علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع – عمان، ط1، 2007 - 1427 هـ، ص 247.

[3]- ينتظر: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، د. تح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ص 112.

اما اصطلاحا: فهي ان يستخدم المتحدث كلمة واحدة لها معنيان: المعنى القريب أو الظاهر وهو المعنى المعروف والمألوف للكلمة، الذي يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة، وهذا المعنى ليس ما قصده المتكلم ويسمى المورى به. أما المعنى البعيد أو الخفي هو المعنى الذي قصد المتحدث الوصول إليه، والذي قد لا يظهر للسامع مباشرة لأنه قليل الاستخدام ويسمى المورى عنه.[1]

ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾، سورة الأنعام، الآية 60. فلفظة التورية في الآية الكريمة جَرَحْتُم ولها معنيان: أولهما قريب ظاهر غير مراد وهو إحداث نمزق في الجسم، والثاني بعيد خفي مراد وهو ارتكاب الذنوب واقترافها.

وفي مثال آخر قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ سورة الذاريات، الآية 47. فالتورية هنا في كلمة بِأَيْدٍ) لأن لهما معنيين: معنى قريب مورى به، وهو اليد الجارحة، وذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان، ومعنى بعيد مورى عنه، وهو القوة وعظمة الخالق، وهو المراد، فالله سبحانه وتعالى منزه عن المعنى الأول.

ثانيا المحسّنات اللفظية: هي التي يكون التحسين فيما راجع إلى اللفظ أولا وبالذات ويتبعه تحسين المعنى ثانيا وبالعرض، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسّن، أي أن التحسين راجع إلى اللفظ او بالذات وأن مصدر الجمال هو جرس الكلمة أو توافق الأصوات، أو التشابه اللفظي او التركيب الشكلي، ثم يأتي تحسين المعنى تبعا وبالعرض، أي أن المعني قد يستفيد لكنه ليس المقصود الأصلي، فلو استبدل اللفظ بمرادفه زال المحسن لأن الجمال مرتبط واللفظ نفسه لا بالمعنى وكل هذا يعني أن المحسنات

[1]- ينظر: على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية، د.تح، دار المعارف – القاهرة، ص 276 - 280.

اللفظية تعتمد على الموسيقى اللفظية والهيئة الشكلية للكلام لا على الفكرة أوالدّلالة،[1] ومن أنواع المحسنات اللفظية:

1-**الجناس:** يعد الجناس من المحسنات البديعية اللفظية، وهو لون من ألوان الزينة اللفظية في الكلام، ويكون له تأثير قوي في نفس السامع، إذ يجذب الانتباه ويبعث الميل إلى الإصغاء، لما فيه من نغمة موسيقية جميلة، كما يجعل العبارة سهلة على الأذن مستماعة، فتلقى قبولاً في النفس وتؤثر في القلب تأثيرا حسنا.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، سورة الروم، الآية 55. فهنا الجناس بين لفظي (الساعة وساعة) والساعة الأولى يقصد بها يوم القيامة والساعة الثانية يقصد بها وقتا قليلا من الزمن، فاللفظان متشابهان في النطق والكتاب لكن المعنى مختلف. لذلك يعد هذا جناساً تاماً لأن الكلمين اتفقنا في اللفظ واختلفنا في المعنى،مما زاد جمالاً موسيقيا في الآية وزاد المعنى قوة وتأثيرا.

2-**السجع:** لغة: يدل على الاستواء والتشابه يقال سَجَعَ الفحل سَجْعاً إذا استوى الكّلام واستقام وتشابه بعضه مع بعض، ويقال أيضا سجعت الحمامة إذا هدلت بصوت واحد وعلى نسق واحد.

اصطلاحا: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، أي اتفاق الكلمة الأخيرة في جملة مع الكلمة الأخيرة في جملة أخرى في الحرف الأخير منهما، مما يحدث نوعا من التوازن الصوتي في الكلام، فيجذب الانتباه ويسهم في تأكيد المعنى وإبراز جمال الأسلوب.[2]

وجاء في﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، سورة الانفطار، الآيتان: 13-14. هنا كل لفظة في الآية الأولى يقابلها لفظة في الآية الثانية على وزنها وفي الحرف الأخير، فكلمتي (نعيم وجحيم) اتفقت الفاصلان في الحرف الأخير

[1]- ينظر: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ص 30.

[2]- ينظر: صابر جويلي، علم البديع نقطة ارتكاز، د. تح، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، 1437هـ/2017م، ص30.

مع تقارب في الوزن طلّ وتي مما أحدث جرساً موسيقيا جميلاً في نهاية الآيتين وأبرز التباين بين الأبرار والفجّار.

وفي مثال آخر ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ 14﴾، سورة نوح، الآيتان 13-14. يتجلى السجع في توافق فاصلي الآيتين في الكلمتين وقار واطوارا، حيث اتفقتا في الحرف الأخير (الألف) مع تقارب في الوزن الصوتي، مما أحدث انسجاما موسيقيا في نهاية الآيتين.

وفي مثال ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۝ 71 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝ 72 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ۝ 73﴾، سورة الصافات، الآية 71-72-73 ورد الجناس بين كلمتي ﴿مُنذِرِينَ ... الْمُنذَرِينَ﴾ فالكلمة الاولى تعني الرسل الذين ينذرون الناس ويحذّرونهم من عذاب الله أما المنذَرين الثانية يعنى القوم الذين وجه إليهم الانذار والتحذير، فالكلمتان متشابهتان في اللفظ مع اختلاف في ترتيب الحروف والمعنى لذلك يعد جناسا ناقصا.

3- لزوم ما لا يلزم: هو ان يلتزم الكاتب أو الشاعر بحرف أو أكثر قبل حرف الروي في سلّجع أو الفاصلة، مع أن هذا الالتزام غير واجب في الأصل، أي أن الأديب يزيد حرفا أو أكثر قبل الحرف الأخير ليحدث انسجاما صوتيا وجمالاً في الكلام دون تكلف. ويعد هذا الأسلوب من فنون البديع اللفظي التي يمكن أن ترد في النثر والشعر معا وقد ورد شيء منه في القرآن الكريم،[1] ومن أمثلة: قول الحريري في المقامة الوبرية: "حكى الحارث بن همام، قال: ملت في رِقّ زماني الذي عبر إلى مجاورة أهل الوبر، لآخذ أخذ نفوسهم الابية وألسنتهم العربية، فأوطنوني منع جناب، وفلّوا نعّي حد كل ناب..."[2] وهذا يعني أن الحارث بن همام في وقت من أوقات حياته شعر بضيق من حياته في المدينة، فقرر ان يذهب إلى

[1]- ينظر: محمد بن عبد الرحمن القزويني، تلخيص المفتاح، د.تح، مكتبة البشرى كراتشي- باكستان، ص 233.

[2]- ينظر: بديع الزمان الهمداني، المقامات، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ص 176.

البادية ليعيش مع أهلها، وكان هدفه من ذلك أن يتعلم منهم صفاء نفوسهم وقوة أخلاقهم، وأن يكتسب فصاحة ألسنتهم العربية وعندما وصل إليهم رحبوا به وأكرموه وأسكنوه في مكان آمن قوي الحماية، حتى أصبح بينهم في مأمن من كل خطر، فلا يستطيع أحد أن يؤذيه أو يعتدى عليه وهكذا عاش بينهما مطمئنا يتمتع بحسن ضيافتهم وقوة حمايتهم.

يتجلى لزوم ما لا يلزم في قول الهمذاني(جَذَابَ حه كل ذَابَ) اتفقت الكلمتان في حرف الباء وهو حرف السّجع، كما التزم الكاتب بحرف الألف قبله في الكلمتين، مع أن هذا الحرف غير لازم في السجع، ولذلك يعد هذا المثال من لزوم ما لا يلزم.[1]

ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝2﴾، سورة العلق، الآية: 1-2. يظهر لزوم ما لا يلزم في الفاصلتين القرآنيتين **(خَلَقَ ۝ خَلَقٍ)**، حيث اتفقت الكلمتان في الحرف الأخير وهو القاف، وهذا يشبه السّجع في توافق أواخر الكلمات ولم يقتصر التوافق على الحرف الأخير فقط، بل جاء قبله أيضا حرف اللام في الكلمين فالتزم النص بحرف اللاّم قبل حرف الروى القاف، مع أن الاتفاق في الحرف الأخير وحده يكفي لحدوث السجع، لذلك يسمى في البلاغة لزوم ما لا يلزم لأن المتكلم التزم حرف زائد قبل الرّوي ليس واجبا.

وهذا التقسيم لتلك الألوان البديعية من لفظية يرجع جمالها إلى اللفظ والصورة والشكل ومعنوية يردون حسنها إلى المضمون والمعنى، فلا يمكن أن يوجد معنى بلا لفظ، ولا لفظ بلا معنى ويشبه هذا الارتباط بعلاقة الروح والجسد، كما لا تقوم الحياة بأحدهما دون الآخر ولا يتحقق جمال الكلام الا باتحادهما وتلك النظرة التكاملية التي اكدها عبد القاهر الجرجاني مفادها أن الحسن الحقيقي للكلام ينشأ من اجتماع اللفظ والمعنى معا، لا من أحدهما فقط، وأن كلا منهما يشارك في انتاج الأثر البلاغي.[2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 177.

[2]- ينظر: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، د.تح، دار الفكر العربي، 1419هـ/1999م، ص27.

وقد تظهر جماليات المحسنات البديعية في عدة جوانب منها: أنها تجذب انتباه القارئ بما فيها من تناغمصوتي كالسّ جع والجناس، حيث يحدث توافق في الأصوات يمنح الكلام نغمة موسيقية، كما أنها تقوي المعنى وتوضحه من خلال بعض الأساليب كالطباق والمقابلة، إذ يبرز المعنى بضده فيصبح أكثر وضوحا وتأثيرا، كذلك تسهم المحسنات البديعية في اضفاء الإبداع والابتكار على الكلام، فتجعل الأسلوب بعيدا عن الرتابة والملل، فالمحسنات البديعية لا تتحقق إذا كانت متكلفة أو مصطنعة، بل تكون أجمل عندما تأتي عفوية ومنسجمة مع المعنى، بحيث تخدم الفكرة وتزيدها قوة وتأثيرا. فالكلام البليغ يقوم على التوازن بين اللفظ والمعنى، حيث يشترك كلاهما في إظهار جمال النص واقناع المتلقي[1].

[1]- المرجع نفسه، ص30.

خلاصة الفصل:

في ختام الحديث عن المحسنات البديعية، يتضح انها تمثل ركيزة أساسية في بناء الخطاب البلاغي، إذ لا تقتصر وظيفتها على التزيين الشكلي، بل تتجاوز ذلك الى لإسهام في تعميق المعنى وتقوية البعد الحجاجي ولإقناعي للنص. فهي تعمل على تحقيق نوع من لانسجام والتآلف بين اللفظ والمعنى، مما يجعل الخطاب أكثر تأثيرا في المتلقي وأكثر قدرة على استمالتهوا إقناعه. وقد أبرز علماء البلاغة، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، أن جمال التعبير لا ينفصل عن جودة المعنى، بل يقوم على حسن النظم والتناسق بين عناصر الكلام .

كما أن تنوع المحسنات البديعية بين اللفظية والمعنوية يمنح المتكلم امكانات واسعة لتكييف خطابه وفق المقام والسياق، بحيث يوظفها بطريقة تخدم الغرض المقصود دون إفراط أو تكلف فالمحسنات اللفظية تضفي جرسا موسيقيا وا إيقاعا محببا، في حين تبرز المحسنات المعنوية عمق الفكرة من خلال إبراز التناقض أو التوازن أو التقابل بين المعاني. وهذا التكامل يجعل النص لأدبي أكثر حيوية وجاذبية، ويمنحه طابعا فنيا راقيا.

وعليه، يمكن القول إن القيمة الحقيقية للمحسنات البديعية تكمن في قدرتها على الجمع بين الجمال والوظيفة، فهي تسهم في تجميل الخطاب وفي الوقت نفسه تعزز دلالته وتوجه فهمه. غير أن فاعليتها تظل رهينة بحسن توظيفها، إذ إن لإفراط فيها قد يفضي إلى التكلف ويضعف المعنى بدل أن يقويه. ومن ثم فإن المحسنات البديعية تعد أداة بلاغية دقيقة، يتجلى إبداع المتكلم في توظيفها توظيفا متوازنا يحقق لإمتاع ولإقناع معا.

الفصل الثاني
نظرية الحجاج اللغوي

- **تمهيد:**

يعد الحجاج اللغوي آلية أساسية في بناء الخطاب، اذ لا يقتصر دور اللغة على نقل المعلومات، بل يتجاوز ذلك إلى التأثير في الملقي وتوجيهه نحو تبني موقف معين او لاقتناع برأي ما. ويعتمد الحجاج على مجموعة من الوسائل اللغوية ولأسلوبية، مقل الروابط الحجاجية، والسلالم الحجاجية، واختيار لألفاظ، وترتيب الحجج، بما يحقق لانسجام والتدرج في الإقناع .

ويتبين أن الحجاج ليس مجرد تقنية شكلية، بل هو نشاط تواصلي يرتبط بالسياق والمقام، ويتأثر بنية المتكلم وخلفية المتلقي، لذلك فهو يجمع بين البعد اللغوي والتداولي، حيث تتكامل البنية اللغوية مع المقاصد التواصلية لتحقيق الفاعلية الحجاجية .

وعليه يمكن القول أن الحجاج اللغوي يمثل جوهر الخطاب الانساني، لأنه يوجه التفكير، ويؤطر المواقف، ويسهم في بناء المعرفة وتبادلها داخل المجتمع، مما يجعله أداة حيوية في مختلف المجالات لأدبية والعلمية والتواصلية.

المبحث الأول: مفهوم الحجاج:

- لغة: ورد الحجاج في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ)الحجّة: البرهان وقيل: الحجّة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري:الحجّة الذي يكون به الظفر عند الخصومة، اي ان الحجّة هي الدليل أو السب الذي يمكن المتكلم من الانتصار في الجدال وا ٍقناع الطرف الآخر بصحة رأيه، وهو رجل محجاج أي جدل والتحاجج، التخاصم وجمع الحجّة، ومحاجة وحجاجا نازعه الحجّة وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة، وفي حديث الدجال: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، أي مُغالبه بإظهار الحجّة.[1]

[1]- جمال الدين أبي فضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي المصري، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 5، ص5.

ويعرف ابن فارس الحجاج بقوله: حاججت فلاناً فحججته، أي غلبته بالحّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومةوالجمع حَجَّ والمصدر الحجاج،[1] فالحجاج إذا من الفعلحاَجَ وحاَجَجَ حَاجَةوحِجَاجاً، فهو محاج وحاجالشخص بمعنى أقام الحُجة والدليل لإثبات أن الأمر صحيح، وقد ورد لفظ الحجاج في عدة آيات من القرآن الكريم تذكر منها:

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾. سورة غافر، الآية: 47.

ويتضح من التعريف الذي ذكر سابقا أن الحجاج مجادلة يكون سببها الخلاف أو الاختلاف على وجهة نظر ما، ويكون الهدف منها اثبات رأي باستخدام الحجة والبرهان، وبالنظر إلى الجذر الاشتقاقي في لفظة الحجاج ومنه الحجة ومحاج وحجيج، وحاججت حجاجا أي غلبته بالحجة والبرهان والدليل، فالحجاج يستعمل لإقناع الخصوم.

ويتضح من خلال هذا أن الحجاج يكون لخصومه، وما يدل على ذلك من لفظة غلبة، وتكون هذه الأخيرة في الكلام والخطاب الذي يقيمالحجة والبر هان على صحة ما يدعي، وبما أن هناك خصومة، فالجدال هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي، وقد جاء في أساس البلاغة حاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج،[2] والمقصود بـ "محجوج"مغلوب و الشخص المتكلم الغالب المحاجج والسامع المحاجج المغلوب، أي أنه اقتنع بحجة المتكلم.

ومن ثم يتضح أن الذي يدعي صحة رأيه عليه إثبات ذلك، وقد ذكر لفظ الحجاج في عدة آيات من القرآن الكريم ومن﴿وبنهاالذقيل تعالى: وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، سورة الشورى،

[1]- ينظر: ابن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1411ه/1991م، ج2، ص30.

[2]- ينظر: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1419ه/1998م، ص 47.

الآية: 16. وقوله﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 80.

ورد في تاج العروس أن الحجة تعنيالدليل والبر هان، وقيل أيضا هي ما يستعمل لدفع الخصم ومواجهته، كما يوضح الأزهري أن الحجّة هي الوجه أو الوسيلة التي يتحقق بها الظفر في الخصومة، وسميت حجة لأنها تقصد ويتوجه إليها، أي أن لها غاية يراد بلوغها وجمعها حجاج.[1]

أما الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات، فقد عرفالحجّة بأنها ما يستدل به على صحة الدعوى وا ٍثباتها[2]، أما في قاموس المحيط البرهان، بالضم الحجة[3]، حيث تظهر في هذه التعريفات للحجاج مصطلحات متعددة كالجدل والبرهان والاستدلال والدعوى يشكلان محور النقاشات العلمية المعاصرة، حيث ينظر إلى الحجاج باعتباره عملية تواصلية تقوم على التفاعل من أطراف متعددة و هو ما يساهم في بناء صورته الحجاجية، كما يظهر أن مفهوم الحجاج أصبح واضحا في وقتنا الحالي، رغم أن الدراسة ركزت على أبعاده في القرآن الكريم والخطابات الإنسانية بشكل عام.[4]

حيث أن العلماء القدماء كانوا يعتبرون الحجة والبرهان شيئا واحدا في حين يميز العلماء المحدثون بينهما اعتمادا على المنطق والتحليل العلمي، ويشير ابو بكر العزاوي إلى

[1]- ينظر: الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ت، مادة حجج، ج 5، ص 464.

[2]- ينظر:الجر جاني، علي بن محمد، التعريفات، تح: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م، ص115.

[3]- ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م، ص1180.

[4]- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، د.تح، افريقيا الشرق، بيروت، ط2، 2002م، ص8.

أن الخطاب الطبيعي لا يقوم على براهين منطقية دقيقة، بل يعتمد على وسائل حجاجية لا تستند بالضرورة إلى مبادئ الاستنتاج المنطقي.[1]

أما الرشيد الراضي، فيرى أن البرهان ينتمي أساسا إلى مجال الاستدلالات المنطقية والرياضية في حين أن الحجاج يرتبط بمجال الخطاب الطبيعي،[2]و عليه فإن البرهان يتميز بكونه عملية عقلية قائمة على حقائق علمية ويؤدي إلى اليقين، بينما يقوم الحجاج على الاحتمال، لأنه يعتمد على استدلال غير برهاني.[3]

- اصطلاحا: ُفهم من التعريف الاصطلاحي للحجاج أنه يقوم على علاقة تواصلية بين المتكلم والمستمع حول موضوع معين، حيث يسعى المتكلم إلى تدعيم كلامه بالحجج والبراهين بهدف اقناع الطرف الآخر، وفي المقابل يملك المستمع حق قبول هذا الكلام أو الاعتراض عليه إذا لم يقتنع به، وفي هذا الإطار يعرف طهعبد الرحمن الحجاج بأنه كلّ كلام موجّ ه إلى الغير من أجل إفهامه فكرة معينة، مع إعطائه الحق في مناقشتها أو رفضها.[4]

كما أن البلاغة، سواء في صورتها القديمة أو الحديثة تهدف أساسا إلى دراسة الخطاب وفهم مقاصده وأبعاده الحجاجية، كأنها تنطلق من فكرة الحجاج وتعود إليه في النلهة باعتبار ه جوهر العملية التواصلية[5]، حيث يتجه كالجاحظ في البلاغة العربية القديمة إلى وجود نوع من التلخل بين الحجاج والبر هان والاستدلال المنطقي، حيث إن هذا التداخل

---

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، د.تح، بيروت، ط1، 2006، ص19.

[2]- ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ اسماعيلي علوي، ج 1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص180.

[3]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2006، ص20.

[4]- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د.تح، ط1، 1997م، ص226.

[5]- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج طبيعته ومجالاته، الدار البيضاء، افريقيا الشرق،د.تح، ط1، 2006، ص55.

جعل البلاغة العربية القديمة تجمع بين مختلف الفنون، فصار الحجاج يشمل مجالات متعددة ويستعمل في الخطاب لتحقيق أغراض مثل المنا عة والجدل.

و من هذا المنطلق، لم يعد الحجاج محصورا داخل البلاغة فقط، بل امتد إلى ميادين أخرى كالفلسفة والمنطق، خاصة عند اليونانيين، حيث ارتبط بالإقناع والتأثير في المتلقي. كما يرى ابن خلدون أن المناظرة تقوم على الرد والقبول بين طرفين بحيث يقّ م كل طرف حججه، وقد يكون أحدهما مصيبا والآخر مخطئا، لذلك فإن الاحتجاج بالأدلة يعد أساسا في هذه العملية، مع ضرورة التزام آداب المناظرة، كعدم مقاطعة الخصم واحترام ور ه في الكلام، حيث أن المناظرة تعد مجالا للتعبير وتبادل الآراء بين طرفين، حيث يتناوبان الأدوار في الحديث، مما يساهم في تطوير النقاش، كما أن الهدف منها هو الوصول إلى الحقيقة أو اقناع الطر ف الآخر، مع الالتزام بقواعد الحوار السليم.[1]

تميز بعض الدراسات الحديثة بين الجدل والمناظرة، حيث ترى أن المناظرة تهدف إلى الكشف عن الحقيقة، بينما يسعى الجدل غالبا إلى التغلب على الخصم،[2] وهو ما يجعل الفرق بينهما واضحا من حيث الغاية والأسلوب.

يقصد بالحجاج، دراسة الأساليب والتقنيات التي يعتمدها الخطاب من أجل إقناع المتلقي وجعله يميل إلى الأفكار المطروحة أوز يادة درجة اقتناعه بها[3]، وقد عرفه طه عبد الرحمن بأنه كل كلام موجه إلى الغير بهدف افهامه دعوى معينة، مع إمكانية أنيعتر ض عليها،[4] أما أبو بكر العزاوي فيرى أن الحجاج يتمثل في مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة محددة وغاية يسعى إليها المتكلم.[5]

---

[1]- ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء، ط1، 1413ه/1993م، ص 362.

[2]- ينظر:محمد حسن عبد الله، المنهج و آداب الحوار، د.تح ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط1، مارس 201م، ص35.

[3]- ينظر: د. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، د.تح ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص308.

[4]ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د.تح، ط1، 1997م، ص226.

[5]- ينظر: أبو بكر الغزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2010، ص9.

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول إن الحجاج بقوم على مجموعة من الأركان الأساسية التي تشكل بنية النص الحجاجي، وهي المرسل (الكاتب أو المتكلم)، والمتلقي (القاري أو المستمع).

وينشأ هذا النوع من النصوص عادة حول قضية معينة تكون محل اختلاف و النقاش حيث تتباين الآراء بين القبول والرفض، لذلك يسعى كل طرف في هذا النقاش إلى الدفاع عن موقفه وبذل جهد من أجل التأثير في الطرف الآخر، بهدف تغيير قناعاته أو على الأقل تقوية درجة اقتناعه بالقضية المطروحة، ولتحقيق هذه الغابة، يعتمد المتحاورون على مجموعة من التقنيات اللغوية المختلفة، مثل التوكيد والاستدلال والحجة المقنعة، مع التأكيد على أهمية اللغة باعتبارها الوسيلة الأساسية للتواصل والتأثير، فاللغة ليست مجرد أداة لنقل الأفكار، بل هي مجال للتأثير والتأثر، وتتطلب دعما بالأدلة والحج، وهو ما يجعلها جزءا أساسيا من مكونات الخطاب الحجاجي.

حيث يرى طه عبد الرحمن أن الخطاب لا يقتصر فقط على كونه تواصلا بين شخصين، بل يتجاوز ذلك ليصبح مجالا يقوم على الادعاء والاعتراض، أي أن المتكلم لا يكتفي بنقل كلامه إلى الآخر، بل يقدم دعوى يحاول اقناع بها في حين يكون للمتلقي دور في قبول هذه الدعوى أو رفضها عبر الاعتراض. ومن هنا فإن طبعة الخطاب تتحدد من خلال هذه العلاقة الاستدلالية الحجاجية، وليس من خلال مجرد التفاعل الكلامي.

لذلك لا يمكن تصور خطاب بدون حجاج، كما لايمكن تصو ّر متكلّم دون أن يكون صاحب دعوى، ولا مخاطب دون أن يكون له دور في مناقشة هذه الدعوى؛[1]أي: أن الخطاب الحقيقي ليس مجرد كلام عادي أو تبادل ألفاظ، بل هو عملية اقناع، فالمتكلم يطرح فكرة (دعوى)، ويقدم لها أدلة، بينما المستمع لا يكون سلبيا، بل يمكنه أن يناقش ويعترض،

[1]- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.تح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص230.

وهذا التفاعل القائم على الحجة والرد هو ما يجعل الخطاب حجاجيا اي قائما على الإقناع وليس فقط على التواصل، ومن أبسط التعاريف اللسانية للحجاج أنه نشاط لغوي أو عملية تواصلية هدفها الأساسي هو الاقناع، حيث يعتمد على وسائل منطقية وأدوات لغوية واضحة، ويعتبر الفعل الإقناعي أحد أشكال النشاط الذهني المرتبط بمقام التلفظ، اذ يعمل على توظيف مختلف الأساليب والصيغ اللغوية من أجل تحقيق تواصل فعال،وا إقناع المخاطب بقبول ما يطرح عليه من أفكار أو التواصل إلى نوع من التفاهم المشترك[1].

ومن خلال هذا التعريف، يتبين أن اللغة تعمل في ذاتها وظيفة حجاجية أصلية، إذ تظهر هذه الوظيفة في بنيتها وفي تركيب الجمل والأقوال، كما تتجلى مختلف المستويات اللغوية، مثل المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي والتركيبي والدلالي والتداولي.[2]

المبحث الثاني: نظرية الحجاج اللغوي والسلالم الحجاجية عند ديكرو وأنسكومبر:

1-نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكو مبر:

نظرية الحجاج اللغوي من النظريات اللسانية الحديثة التي أسهمت في تطوير دراسة الخطاب وتحليل وظائف اللغة، وقد وضع أسس هذه النظرية اللساني الفرنسي أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot في ثمانيات القرن العشرين، حيث سعى من خلالها إلى إبراز البعد الحجاجي الكامن في اللغة، فقد انطلق ديكرو من فكرة أساسية مفادها أن اللغة الترابي الخاص في اللغة لا تستعمل فقط لنقل الأخبار او تبادل المعلومات بين المتخاطبين، بل انها تحمل في بنيتها الداخلية طابعا حجاجيا يجعلها وسيلة للتأثير والإقناع.

ويرى ديكرو أن الألفاظ والتراكيب اللغوية ليست محايدة أو خالية من التوجيه، بل تتضمن في ذاتها مؤشرات ودلالات تقود المتلقي نحو فهم معين أو موقف محدد، والكلمات

[1]- بنظر: د. حافظ اسماعيلي العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، د.تح، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ط1، 1431ه/2010م، ج3، ص270.

[2]- ينظر: أبو بكر الغزاوي، الخطاب والحجاج، د.تح، الأحمدية للنشر، دار البيضاء، ط1، 2007، ص19.

في نظره قد توجه السامع إلى نتيجة معينة أو تهيئة لتبني رأي ما، ولذلك فإن الحجاج ليس أمر خارجيا يضاف إلى اللغة، بل هو خاصية كامنة في بنيتها وطبيعتها.

وبهذا التصوير عملت هذه النظرية على مراجعة الفكرة الشائعة التي كانت ترى أن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة الإخبارية أو التواصلية، أي نقل المعلومات بين الأفراد، فديكرو يعارض هذا التصوير ويؤكد أن الوظيفة الحجاجية تعد من أهم وظائف اللغة، لأن المتكلم غالبا ما يستخدم اللغة بهدف التأثير في مخاطبه وتوجيهه نحو رأي معين.[1]

ويظهر هذا المعنى في العبارة المشهورة التي تلخص تصور هذه النظرية، ومفادها أن الإنسان حين يتكلم فإنه لا يكتفي بمجرد الاخبار او الوصف، بل يسعى في الغالب إلى التأثير في الآخرين، ولذلك يمكن القول إننا نتكلم في الغالب بقصد التأثير في المخاطب واقناعه.

ومن هنا يتبين أن اللغة وفق هذا التصور أداة حجاجية تسهم في بناء المواقف وتوجه الآراء داخل الخطاب، وقد اختلفت الدراسات اللغوية الحديثة في تناولها لمفهوم الحجاج، وذلك تبعا لاختلاف مرجعياتها المعرفية سواء أكانت فلسفية أم منطقة أم لسانية، تقوم أساسا على اللغة باعتبارها مجالاً تحقق فيه العلاقات الحجاجية. وقد يرى ديكرو أن الأقوال داخل الخطاب لا تأتي معزولة، بل ترتبط فيما بينها بعلاقات حجاجية، حيث يمكن لبعضها أن يدعم اقوالا اخرى أو يعارضها، ويعد هذا الترابط من أبرز ما يميز نظريته التي أسهمت في بلورة مفاهيم اساسية من بينها: السلم الحجاجي والقول الحجاجي، والوجهة الحجاجية.

وتعتمد السلالم الحجاجية على مبدأ التدرج في قوة الحجج، إذ ترتب الحجج من الأضعف إلى الأقوى، ويبنى الحكم عليها وفق معيار القوة والضعف، بعيدا عن مفهومي الصدق والكذب.

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، د.تح، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ/2006م، ص14 .

أما الوجهة الحجاجية فتعني الاتجاه الذي يقود إليه الخطاب، أي النتيجة التي يراد من المتلقي الوصول إليها، سواء أكانت هذه النتيجة صريحة أم ضمنية. وقد يتعارض التصور الحجاجي مع بعض النظريات الكلاسيكية خاصة المرتبطة بالبلاغة القديمة عند أرسطو أو بعض الاتجاهات الحديثةلأنه يركز على اللغة الطبيعية بدل المنطق الصوّر ي[1]، وقد تهتم نظرية الحجاج عند ديكروبالوسائل اللغوية وا إمكانات اللغة الطبيعية، حيث صاغها ضمن إطار اللسانيات منذ سنة 1973 وركز فيها على كيفية توجيه الخطاب لتحقيق أهداف حجاجية محددة، ومن خلال هذا ميز ديكرو بين الحجاج والبرهنة، فالحجاج (argumentation)لا يقوم على تقديم أدلة منطقية صارمة كما هو الحال في البرهنة (démonstration)، بل يعتمد على التأثير في المتلقي وتوجيهه نحو تبني موقف معين، دون الالتزام بقواعد المنطق الصارم وبذلك يتضح أن الحجاج عند ديكرو هو فعل لغوي يهدف إلى التأثير والإقناع داخل الخطاب، وليس مجرد استدلال منطقي قائمعلى البر هان، ومن الأمثلة على ذلك:

مثال أ: كل اللغويين علماء.

زيد لغوي

إذن زيد عالم

مثال ب: انخفض ميزان الحرارة

اذن سينزل المطر

عند التأمل في الجمل الواردة في (أ) و(ب) نلاحظ أن المثال (أ) يرتبط ببرهنة أو قياس منطقي، بينما المثال (ب) لا يتجاوز كونه حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني، ففي المثال الأول يكون استنتاج أن زيد عالم، استنتاجا حتمياوضرورياً قائماً على أسس منطقية

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

واضحة، اما المثال الثاني فإن احتمال نزول المطر يعتمد على معرفة مسبقة بالعالم وعلى معنى الجزء الأول من الجملة، لذلك مر استنتاج احتمالي وليس يقينيا[1].

يتضح مما سبق أن الحجاج يقوم على عرض الأدلة وتقديم الحجج في اللب اللغوي، أي أنه يرتبط باللغة بوصفها وسيلة للتأثير والإقناع،كما أن نظرية ديكرو الحجاجية تسعى إلى إبطال فكرة أساسية للغة، حيث تؤكد أن للغة أدوار أخرى، من أهما الدور الحجاجي الذي يهدف إلى التأثير في المتلقيوا إقناعه.

وقد تعد نظرية التداولية المدمجة من النظريات اللسانية الحديثة التي وضع اسسها اللساني الفرنسي أوزفالد ديكرو بالاشتراك مع زميله جان كلود أنسكومبر Jean Claude Anscombre وقد جاءت هذه النظرية في إطار محاولة بناء منطق طبيعي، ينسجم مع طبيعة اللغة الإنسانية وخصائصها، لأن اللغة الطبيعية لا تخضع دائما لقوانين المنطق الصوري الصارمة، بل تتحكم فيها اعتبارات سياقية وتداولية مرتبطة باستعمالها في التواصل، وتقوم هذه النظرية على أساس انها نظرية لسانية تهتم بدراسة الحجاج داخل اللغة نفسها، أي أنها تنظر إلى الحجاج بوصفه ظاهرة لغوية كامنة في بنية اللغة، وليس مجرد أسلوب خار جي يستعمله المتكلم عند الحاجة.

فالحجاج في نظر ديكرو يعد فعلا لغويا ووظيفة أساسية من وظائف اللغة لا تكتفي بنقل المعلومات، بل يسعى إلى التأثير في المخاطب وتوجيهه نحو نتيجة أو موقف معين.

ومن هذا المنطلق يرى ديكرو أن اللغة تتضمن في بنيتها أدوات ورابط وتراكيب لغوية تؤدي دورا حجاجيا واضحا مثل بعض الروابط والأدوات التي توجه المعنى وتقود المتلقي إلى استنتاج معين، فهذه العناصر اللغوية لا يقتصر دورها على الربط بين الجمل فقط، بل تسهم كذلك في بناء الحجة وتقوية الخطاب الحجاجيوا إنجاح عملية الإقناع.[2]

---

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ/2006م، ص25.

[2]- ينظر: د. زكرياء البوتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، د.تح، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ط1، 2014م، ص47.

ويدل هذا التصور على أن الحجاج عند ديكرو تربط بالفعل اللغوي ارتباط وثيقا، كما أنه يمثل وظيفة تواصلية أساسية للغة الطبيعية، وفي هذا السياق يشير الباحث المغربي أبو العزاوي إلى أن النظرية التداولية المدمجة تأثرت بنظرية الأفعال اللغوية التي وضع معالمها كل من جون أوستن وجون سيرل، حيث اهتمت هذه النظرية بدراسة اللغة في استعمالها الفعلي وما يتضمنه الخطاب من أفعال تؤثر في المتلقي وتوجه فهمه.[1]

وقد ظهرت وتطورت داخل إطار التداولية، أي دراسة اللغة في سياق استعمالها في التواصل، وقد تأثرت هذه النظرية بأعمال الفلاسفة واللسانيين الذين درسوا الأفعال اللغوية، فقد انطلق الباحثان من أفكار أوستن التي تؤكد أن اللغة ليست مجرد وسيلة لوصف الواقع، بل هي أيضا وسيلة للقيام بأفعال، فحين يتكلم الإنسان فإنه لا يكتفى بنقل المعلومات، بل يقوم بأفعال مثل: الوعد والأمر والنهي والاقناع.

ثم جاء جون سيرل ليطور هذه الفكرة ويصنف الافعال اللغوية إلى أنواع مختلفة مثل: الأفعال الإخبارية والأفعال التوجيهية والأفعال الالتزامية وغيرها، غير أن هذه التصنيفات واجهت بعض الصعوبات، لأن الاستعمال الحقيقي للغة أكثر تعقيدا من مجرد تصنيف ثابت،[2] وبعد ذلك ظهرت نظرية الحجاج في اللغة التي حاولت إعادة النظر في طريقة فهم المعنى اللغوي، فترى هذه النظرية أن اللغة بطبيعتها تعمل وظيفة حجاجية، أي أنها تستعمل للتأثير في المخاطب وا ٍقناعه بوجهة نظر معينة.

وأن معنى الكلام لا يقتصر على المعنى المعجمي أو الدلالي المباشر، بل يتضمن أيضا مؤشرات توجيهية داخل الخطاب تساعد المتكلم على توجيه السامع نحو نتيجة معينة.

وقد تعرضت النظرية لبعض الانتقادات خاصة فيما يتعلق بتعريف التداوليات وحدودها، لأن دراسة العلاقة بين الدلالة والتداول ليست أمرا بسيطا، ولا يمكن الفصل بينهما

[1]- ينظر: د. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ/2006م، ص8-9.

[2]- ينظر: د. زكرياء البوتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، د.تح، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ط1، 2014م، ص48.

بشكل تام[1]، وفي هذا السياق ألح ديكرو (1980) على رفض التعارض بين معنى القول وقيمة التلفظ، وبين الدلالة والتداوليات، بالإضافة إلى ذلك فإن نظرية الحجاج والسلميات الحجاجية مرصودة بشكل خاص بتعزيز ذلك الرفض من خلال بيان كون معنى القول (l'énoncé)حتى وإن منحناه دلالة أكثر تقييدا وأكثر نحوية. لا يمكن أن يوصف بغير الرجوع إلى مقاصد التلفظ، وبحسب هذه النظرية فإنه بيدوا مستحيلا عزل جانب من المعنى لا يكون معلما من قبل الوظيفة التلفظية (la fonction énonciative) : ففعل القول في القول ذاته،[2] وهذا يعني أن ديكرو لا يمكن أن يفيل بين معنى القول وبين قيمة التلفظ، فهو يرفض فكرة أن اللغة تحمل معنىثابتاً مستقلاً عن السياق، بل يؤكد أن المعنى يرتبط دائما بطريقة استعماله في الخطاب. وقد تؤكد نظرية الحجاج والسلميات الحجاجية هذا الموقف، لأنها تظهر أن الكلام ليس مجرد الفاظ لها دلالة لغوية فقط، بل هو موجه نحو الإقناع والتأثير في المتلقي، فالمتكلم عندما يتكلم لا ينقل معنى فقط، بل يوجه كلامه ليقود السامع إلى نتيجة معينة، أي أن الدلالة وحدها غير كافية بل يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ما يريده المتكلم من كلامه.

ومن هنا يخلص ديكرو إلى أنه من المستحيل عزل جزء من المعنى يكون مستقلا تماما عن الوظيفة التلفظية، لآن فعل القول (التلفظ)موجود داخل القول نفسه وليس شيئاً منفصلاً عنه، وقد تتميز أعمال ديكرو وزميله أنسكو مبر عن النظريات التداولية الأخرى، بحيث يعتبر ان القطبيات الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ، ولكنها مسجلة في اللغة[3]، ومن ثم فتقنية الحجاج مرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة وليست وصفا خارجا عن اللغة، أي أن

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

[2] -voir : Oswald Decroes, Les Paix argumentatives, trad. Abu Bakr Al-Azzawi, 1re éd, 2020, pp. 8-9.

[3]- ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، د.تح، دار صفحات للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2008، ص18.

اللغة حجاجية في أصلها، وهذا ما ذهب إليه الباحثان ديكرو وانسكومبر من خلال اعتبارها أنها تحمل بصفة ذاتيةوجوهر ية (intrinsèque) وظيفة حجاجية.[1]

التداولية المدمجة لا تهتم بدراسة الجوانب التداولية خارج اللغة، بل تبحث عنها داخل بنية اللغة نفسها، لذلك فهي ترى أن اللغة لا تستعمل فقط الوصف الأشياء في العالم، بل تنجز أفعالاً لغوية، وبناءا على ذلك فإن معنى القول لا يرتبط بالكون أو الواقع الخارجي، بل يتحدد من داخل اللغة نفسها ومن طريقة استعمالها[2].

بدا بناء على ذلك يتبين لنا أن ديكرو وأنسكومبراعتبر ا أن اللغة في حد ذاتها هي الأساس في دراسة الدلالة التداولية. فقد عرف أورو الد ديكرو في كتابه الحجاج في اللغة بأنه فعل يقوم به المتكلم عندما يقدم قولاً أو مجموعة من الأقوال بهدف أن يقود المتلقي إلى التسليم بقول آخر أو بمجموعة أقوال أخرى.[3]

ونستنتج من خلال هذا التعريف أن الحجاج من منظور الباحثين يقوم بإنجاز عملين هما: عمل التعريف بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواءا أكانت مصرحا بها أم ضمنية. ويتضح أن التداولية المدمجة تهتم بدراسة الجوانب التداولية داخل اللغة نفسها، حيث تركز على ان الحجاج يوجد في بنية اللغة، وليس خارجها فهذه البنية اللغوية تحمل وظائف حجاجية متعددة تساعد المتكلم على إيصال رسالة معينة إلى المتلقي أو المستمع بشكل مؤثر، وقد قام كل من أورو الد ديكرو وجان كلود أنسكو مبر بالتميز بين نوعين من الأفعال وهما: فعل الملجة وفعل الاستدلال باعتبار هما شكلين اساسيين يعتمدان في بناء الخطاب والتأثير في المتلقي.[4]

---

[1]- ينظر: أبو بكر الغزاوي، الحجاج في اللغة، د.تح، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص56.

[2]- ينظر: فكري منجوت، الحجاج في اللغة ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، بإشراف حمادي صمود، ط1، 1998، ص 354.

[3] -Voir: Oswald Decroix et Anscomber, Argumentation in Language, éd., Brussels Publishing House, Belgique, 1re éd., 1983, p. 8.

[4]- ينظر: مسعود طارق، الحجاج في الخطاب الإعلامي السمعي الخطاب السياسي أنموذجا، د.تح، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2022، ص 45.

أولا: فعل الاستدلال يتمظهر هذا الفعل من خلال وجود علاقة بين الحجة والنتيجة، هذه النتيجة تستند إلى حدث معين في الكون.

ثانيا: فعل المحاجة: يتمثل هذا الأخير في انعدام العلاقة بين الحجة والنتيجة وللتوضيح أكثر

نستعين بالمثال التالي:

- مستواك في الدراسة ضعيف (ق1).
- عليك أن تضاعف جهدك في المراجعة (ق2).

اول ما نستنتج من خلال هذا اننا بصدد فعل الاستدلال، حيث النتيجة (ق2) والمتمثلة في مضاعفة الجهد في المراجعة تستند إلى الحجة (ق1) الممثلة في تدني مستوى التلميذ. وهذا يعني أن مستوى التلميذ ضعيف، ولذلك من الضروري أن يبذل جهدا أكبر في المراجعة.

ومن خلال هذا الكلام تفهم أننا أمام فعل حجاجي قائم على الاستدلال، حيث جاءت النتيجة وهي ضرورة مضاعفة الجهد في المراجعة (ق2)، مبنية على حجة سابقة تتمثل في ضعف المستوى الدراسي (ق1)، فهنا ترابط منطقي بين الحجة والنتيجة فضعف مستوى التلميذ يعد سببا أو دليلاً (حجة) يؤدى إلى نتيجة منطقية، وهي ضرورة الاجتهاد أكثر وهذا النوع من الكلام يسمى حجاجا، لأنه يقنع المتلقي بفكرة معينة اعتمادا على سبب واضح يدعمها.[1]

أما في المثال الثاني فعر ض له كالآتي:

- رغم أن هذا الحيوان خطير (ق1).
- فإن مظهره جميل (ق2).

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

يضعنا هذا المثال أمام فعل الحجاج، حيث إن هناك علاقة بين النتيجة (ق2) والحجة (ق1) وهذا يعنى أن الحيوان خطير إلا أن شكله جميل، وهذا يدل على أن هناك علاقة حجاجية، حيث لم يكتف بذكر الخطر، بل وجهنا لرؤية جانب آخر مخالف وهو الجمال.

فالحجاج في هذا المثال يقوم على الجمع بين فكرتين متعارضتين لإقناع المتلقي أو لعرض صورة أكثر توازنا، وبعد عرض هذين المثالين، يمكن أن نستنتج أن الحجاج والاستدلال ليسا شيئا واحدا، بل هما ظاهرتان مختلفان في المستوى،[1] فالاستدلال يعتمد أساسا على علاقة بين أفكار المتكلم والواقع أي على ترابط الأحداث والوقائع في الكون، أما الحجاج فإنه يظهر داخل الخطاب فقط. من خلال ترتيب الأقوال وربطها ببعضها البعض.

2- نظرية السلالم الحجاجية:

يعد السلم الحجاجي عنصرا أساسيا ضمن مقتضيات النظرية اللسانية، إذ تتجلى أهميته من خلال إبراز العلاقة المتلازمة بين الحجة والنتيجة في العملية الحجاجية، فهذه النظرية تقوم على فكرة أن الحجة لا تعتبر حجة حقيقية بالنسبة للمتكلم إلا إذا ارتبطت بنتيجة معينة، كما ينبغي الإشارة إلى أن النتيجة قد لا تكون مصرحا بها دائما، بل تظل ضمنية يفهمها المتلقي من سياق الكلام، وللتوضيح أكثر نجسد ذلك على النحو التالي[2]:

[1]- ينظر: شكري المبخوت، اللغة والحجاج (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب والعلوم الإنسانية كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون، تونس، 1998 م، ص 362.

[2]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، د.تح، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ/2006م، ص20.

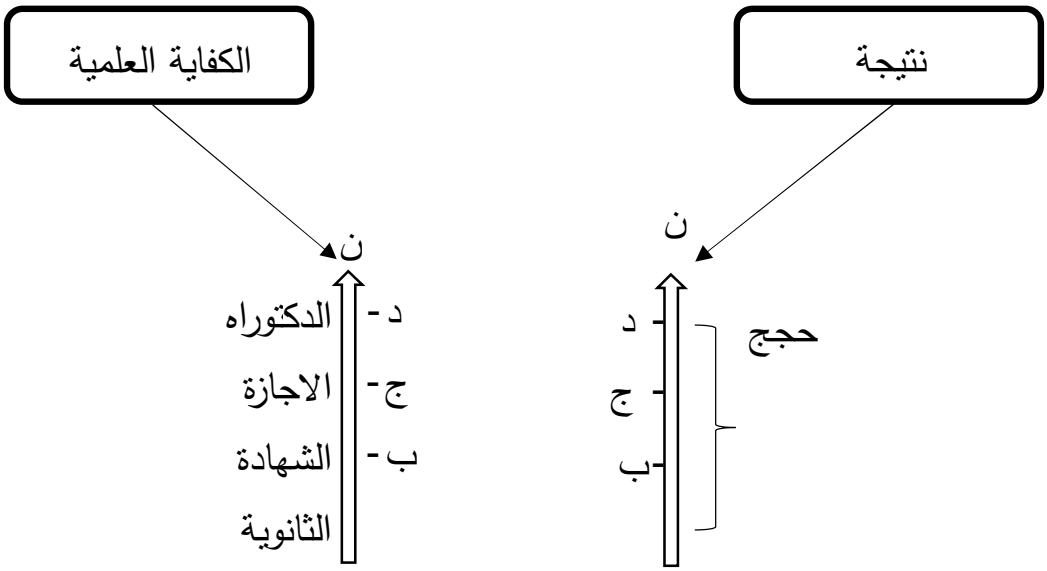

نلاحظ من خلال الترسيمة أن السلم الحجاجي يرتبط بمفهوم التوجيه، حيث يعملان معاً على توضيح العلاقة الحجاجية التي تقوم على الربط بين الحجة والنتيجة،[1] وهذه العلاقة تختلف بشكل واضح عن علاقة الاستلزام او الاستنتاج في المنطق، لأنها لا تقوم فقط على قواعد منطقية صارمة، بل تعرف إلى التأثير في المتلقي وتوجيهه نحو نتيجة معينة، ويرمز لها كما يلي:[2]

نشير هنا أن العلاقة الحجاجية لا تكون ثابتة،بل هي علاقة متدر جة يمكن قياسها بدرجات، أي أنها ترتبط بما يشبه السلالم الحجاجية، وهذا الطرح ينسجم مع ما ذهب إليه ديكرو وزميله أنسكو مبر عندما تحدثا عن الجملة، حيث أوضحا أن كل جملة تحمل في

[1]- ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، د.تح، دار صفحات للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2008، ص24.

[2]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص21.

داخلها وجهة حجاجية معينة، والمعنى الذي تؤديه الجملة لا يتحدد بشكل عشوائي، بل يتشكل من خلال هذه الوجهة أو التوجيه الحجاجي الذي ينبع من مكونات هي التي تحدد معنى الجملة، كما تساهم في توسيع إمكانياتها الحجاجية، وتبين الطريقة التي يتم بها الربط بين الحجة والنتيجة.[1]

نلاحظ في هذا السياق أن السلم الحجاجي يبدأ من أضعف حجة ثم يندرج تدريجيا إلى أن يصل إلى أقوى حجة وإلى جانب ذلك تجدر الإشارة إلى أن النتيجة التي يفضي إليها هذا السلم الحجاجي قد تكون واضحة وصريحة، كما يمكن أن تكون ضمنية تفهم من السياق دون أن تذكر بشكل مباشر، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- ماذا تريد أن تفعل اليوم؟

ب- الا ترى أن الجو جميل؟

يشير الاستفهام الوارد في البنية (أ) حجة تدعم نتيجة ضمنية، وهي الخروج للنزهة ورغم أن النتيجة غير مصرح بها بشكل مباشر إلى اننا نفهمها من خلال المعطى (ب) لأن النزهة عادة ما ترتبط بجو جميل او طقس مناسب.

ويمكن القول أيضا أن الحجة التي تدعم نتيجة معينة لا تكون دائما وحدة قط، بل يمكن أن تكون مجموعة من الحجج تخدم نفس النتيجة، لكن الحجج لا تكون في نفس المستوى، وإنما تختلف من حيث القوة، فيوجد الأقوى ويوجد الأضعف[2]. ومثال ذلك:

1- الجو دافئ.

2- الجو ساخن.

3- الجو حار.

---

[1]- ينظر: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، د.تح، فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص375.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص377.

إن بعض الاقوال تقدم حججا لنتيجة معينة مثل البقاء في البيت او الخروج، فنلاحظ أن الحجة (3) تعد أقوى الحجج، لذلك نقول: البقاء في البيت أفضل لأن الجو حار، أما الحجة (أ) فهي أضعف مقارنة بباقي الحجج، ومن هنا نستنتج أن الحجج لا تكون متساوية، بل ترتب حسب درجات القوة والضعف، وهذا الترتيب راجع إلى أن الظواهر الحجاجية تقتضي دائما وجود علاقة بين الحجة والنتيجة تقوم على نوع من الاستلزام.[1]

المبحث الثالث: روابط وعوامل الحجاج اللغوي ومبادئه:

1- روابط وعوامل الحجاج اللغوي:

يولي ديكرو وأنسكومبر أهمية كبيرة لما يعرف بالروابط والعوامل الحجاجية، وذلك لما تؤديه من دور أساسي في بناء الخطاب الحجاجي وتحقيق الانسجام والاتساق بين مكوناته، فهذه العناصر لا تستعمل اعتباطاً، بل تؤدي وظيفة حجاجية واضحة، إذ تساعد على تنظيم الأفكار وربطها بطريقة تجعل الخطاب أكثر إقناعا وتأثيرا في المتلقي، وتتمركز الروابط أساسا داخل البنية اللغوية نفسها، حيث تتخذ أشكالا معتددة، فمنها ما يرتبط بمستوى الجملة مثل: النفي والاستثناء والشرط والجزاء وغيرها من التراكيب التي تسهم في توجيه المعنى ومنها ما يتصل بالمستوى المعجمي مثل : ألفاظ الكلية والجزئية كـ (بعض، كل، جميع)، إضافة إلى عناصر نحوية خاصة كأدوات التعليل التي تبرز العلاقة النسبية بين الأفكار، وتكمن أهمية المكونات في أنها لا تقتصر على الربط الشكلي بل تسهم في تحقيق الوظيفة الحجاجية أي توجيه الخطاب نحو الإقناع وتحقيق الإذعان لدى المتلقي، وفي هذا السياق يميز ديكرو بين نوعين أساسيين[2]:

[1]- ينظر: شكري المبخوت، اللغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص 365.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 376-377.

النوع الأول: الروابط الحجاجية وهي عناصر لغوية تربط بين أقوال متعددة داخل الخطاب مثل: أدوات الربط (الواو، الفاء، لكن، إذن...)، وتكمن وظيفتها في تنظيم تسلسل الأفكار وا ٍبراز العلاقات بينها، كالتعقيب، أو الاستدراك أو النتيجة.

النوع الثاني: العوامل الحجاجية، وهي عناصر تعمل داخل القول الواحد، وتؤثر في معناه الحجاجي مثل: أدوات الحصر والنفي، أو بعض العناصر المعجمية التي تحمل دلالات غير مباشرة مثل (تقريبا، على الأقل، منذ...) وهذه العوامل تعمل على توجيه المعنى بشكل دقيق وتسهم في تقوية الحجة أو تقييدها.

ومن خلال هذا التمييز يتضح أن الوظيفة الأساسية للروابط والعوامل الحجاجية تتمثل في بناء خطاب منسجم ومترابط، بحيث تتكامل اجزاؤه وتؤدي في النهاية إلى تحقيق الهدف الحجاجي، وهو إقناع المتلقي وتوجيهه نحو تبني موقف معين[1].

2- المبادئ الحجاجية:

تُعدّ المبادئ الحجاجية عنصرا أساسيًا في دراسة الحجاج اللغوي، إذ لا يقتصر بناء الخطاب الحجاجي على استعمال الروابط والعوامل اللغوية فقط بل يتطلب أسسًا ذهنية ومعرفية تضمن ترابط الحجة بالنتيجة وجعل خطابه مقنعًا، ولا يكفي في استعمال الروابط اللغوية وحدها، بل لا بد من هذه المبادئ التي تشبه مسلّمات المنطق، وتتميز بمرونتها واختلافها حسب السياق، وتعد المبادئ الحجاجية قواعد عامة تمكن من بناء حجاج معين وجعله ممكنًا كما أنّها تتميز بعدة خصائص.[2]

1-**مشتركة:** أنها مجموعة من الافكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد ينتمون إلى جماعة بشرية واحدة، ويعتمدون عليها في بناء حججهم وتبادل الآراء.

2-**عامة:** يمكن استعمالها في سياقاتمتعدّدة ومختلفة.

[1]- ينظر: شكري مبخوت، اللغة والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص 378.

[2] -Voir: Oswald de Decro, Argumentative Principles, éd., Minuit Publications - Paris, 1984, p. 65.

3-**تدرجية:**(la gradualité) تقوم على وجود درجات بين شيئين: مثل (العمل - النجاح)أي أن ّ العلاقة ليست مطلقة بل فيها مراتب.

4-**نسبية:**أي أنها لا تكون صالحة في كل السياقات دائم ً ا، بل قد تقبل في موقف وتُرفض في موقف آخر إذا بدت غير ملائمة. كما يمكن إبطال مبدأ حجاجي بتعويضه بمبدأ آخر مخالف له.فمثلاً العمل قد يؤدي إلى النّجاح في بعض الحالات، لكنه قد يؤدي إلى الفشل في حالات أخرى إذا تجاوز الحّد المطلوب وأصبح سبب ً ا في التعب والإرهاق وا ٍهدار الطاقة.

ومن الأمثلة على ذلك:

أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الر ّ احة.

- المبدأ الحجابي هنا التعب يستدعي الراحة، أي أن ّ التعب يؤدي منطقي ً ا إلى الحاجة للر ّ احة.

-سينجح زيد لأنّه مجتهد.

المبدأ الحجاجي هو كل مجتهد ينجح إلأن ّ الابتعاد سبب يؤدي إلى النّجاح.

لكن قد يؤدي إلى النّجاح في سياق، وقد يؤدي إلى الفشل إذا كان فيه إفراط وتعب شديد.

ويمكن أن أيصاغ هذا المبدأ صياغة تعبيرية أخرى:

كلّما كان الإنسان متعب ً ا، كان بحاجة إلى الر ّ احة.

يكون الإنسان بحاجة إلى الر ّ احة بمقدار ما يكونمتعب ً ا.

المبدأ الحجاجي في الجملة الأولى قائم على علاقة التلازم والشرط (كلما.... كان)أي أن ّ زيادة التعب تستلزمزيادة الحاجة إلى الر ّ احة.

أما المثال الثاني فالمبدأ الحجاجي قائم على علاقة التناسب إلى الراحة التناسبالطر ّ ج) أي أن ّ الحاجة إلى الر ّ احة التناسب طرديً ا مع درجة التعب.[1]

[1]- المرجع نفسه، ص 66.

ومن خلال هذا يَرى اللغوي السويسري آلان براندوني أن المبادئ الحجاجية يمكن التعبير عنها بصيغة استلزامية مباشرة على شكل: "إذا كان أ، فإن ب" أيربط مقدّمة نتيجة بشكل منطقي صريح.

غير أنّ أوزفالديكرو انتقد هذه الصياغة، لأنّها تبقى قريبة من المنطق الصّوري، واقترح بدلاً منها صيّاغة أكثر تجريداً تقوم على قيمتين: زائد (+) وناقص (-) للتعبير عن العلاقات الحجاجية من حيث التقوية أو الإضعاف.

بحيث عبر عنها بهذا الشكل:

Il fait beau.la promenade est agréable

(الجو جميل. فالتنزه ممتع)

نلاحظ أنّ : الجو جميل تحمل قيمة(+)

التنزّه ممتع تحمل أيضا قيمة (+)

أي أنّ العلاقة الحجاجية هنا تقوم على انسجام إيجابي: قيمة موجبة تؤدي إلى قيمة موجبة، دون الحّاجة إلى صيّاغة شرطية مباشرة من نوع"إذا ... فإن".[1]

فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار المشتركة بين أفراد جماعة لَغوية حيث يتفِق الجميع على صدقها وصحتها، فمثلا يعتقد الناس أنّ العمل يؤدي إلى النّجاح التّعب يقود إلى الرّاحة، كما يرون أنّ القيم مثل الصدق والكرم والشجاعة ترفع مكانة الإنسان في المجتمع. وهناك أيضاً مبادئ ترتبط بالطبيعة، مثل اعتبار انخفاض درجة الحرارة دليلاً على احتمال سقوط المّطر وبعض هذه المبادئيرتبط بمجال القيّم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم.

كما أنّ المبادئ الحجاجية أقد ترتبط بالإيديولوجيات المختلفة، لذلك يمكن أن ننطلق من نفس المقدمات ونصل إلى نتائج متباينة أو حتى متعارضة، بسبب اختلاف المرجعيات

[1]- ينظر: بيرند ونير، الروابط التداولية والإحالة (الأنفورة)، دفاتر اللسانيات الفرنسية، د.تح، باريس، 1967، ص 5.

الفكرية. ومع ذلك توجد مبادئ اخرى مشتركة بين جميع أفراد الجماعة اللّغوية، وهي التي تشكل أساس التفاهم داخل اللّغة.

المبحث الرابع: آليات وأدوات الحجاج اللغوي وقوانينه:

1- آليات الحجاج:

الخطاب الحجاج ثري للدراسات المتنوعة، والحجاج بوصفه ممارسة تواصلية عقلية اجتماعية تهدف إلى التأثر المتلقي وتوجيه مواقفه، لا مجرد عرض للأفكار أو تزيين لغوي[1]، إذ يقوم الخطاب الحجاجي على تقديم مبررات وأدلة تصاغ بطريقة تجعل الرأي مقبولا داخل السياق تواصلي معين، للحجاج ثلاثة مكونات كبرى مترابطة تتمثل في المكون السياقي التداولي الذي يحدد المقام والغاية وطبيعة المتلقي، ويعد المدخل الأساسي للفعل الحجاجي، والمكون المنطقي الذي ينظم العلاقات الاستدلالية بين المقدمات والنتائج ويعمل وسيطا بين السياق واللغة، ثم المكون اللغوي الذي يمثل مخرج العملية الحجاجية، حيث تصاغ الحجج في اللغة الطبيعية وفق مقتضيات المقام، كما أن العلاقة بين هذه المكونات علاقة تفاعل وتأثير متبادل، فلا يمكن فصل المنطق عن اللغة ولا اللغة عن السياق، لأن منطق الحجاج ذاته منطق تداولي يستمد من الاستعمال اليومي للغة في الاقناع والجدل، لا من المنطق الصوري المجرد، والحجاج باعتباره نشاطا تواصليا مركبا ينسجم مع التصورات البلاغة الجديدة التي تعلي من شأن البعد التداولي والوظيفي للخطاب.

تصاغ أغلب الاستدلالات التي يتداولها الناس بحياتهم اليومية داخل اللغة الطبيعية، إذ يلجأ فيها إلى الاستدلال بصيغ متعددة، ولذلك فإن من الطبيعي أن تتوافق البنية المنطقية الضرورية لجعل اللغة أداة الاستدلال توافق البنية المنطقية الضرورية لجعل اللغة أداة للاستدلال توافق تاما مع بنيتها النحوية، ما دام التفكير الحجاجي لا ينفصل عن الصياغة

[1]- ينظر: فرانس. هـ.إميرن وفان غروند ست، نقلا عن: د. حافظ اسماعيلي العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ط1، 1431هـ/2010م، ص76.

اللغوية التي يعبر بها عنه[1]، عند هذا الحد يمكن أن تتعمق العلاقة بينهما، فتتجاوز التأثير السطحي إلى التأثير التكويني عندما تصبح مخرجات المكون السياقي في مدخلات المكون المنطقي، فتقربه من الاتصاف بالطبيعة بالقدر الذي تبتعد به عن الاتصاف بالصورية، فالمنطق الصوري حين يوظف داخل الخطاب الحجاجي، يكشف عن حدود صلاحيته لأنه لا ينسجم مع طبيعة اللغة الطبيعية التي يقوم عليها الحجاج[2].

المنطق الصور ي مؤسس على اليقين والإلزام والقطع، بينما يقوم الحجاج على الاحتمال والترجيحو الاقناع المرتبطين بالسياق والمقام والاختلاف بين المتخاطبين، ومن ثم فان إخضاع الخطاب الحجاجي المنطق الصوري يؤدي إلى قصور فهم آلياته التداولية، لأن هذا الخطاب لا يشتغل على قضايا تقنية كالحقائق الرياضية، بل على ما هو ممكن ومقبول ومرجح[3]، توظيفالمنطق الصور ي في الخطاب الحجاجي العربي الإسلامي لم يكن دائما ملائما، إذ يترتَّب عليه قصور آخر ناتج عن سمات مجال الخطاب التداولي ذاته، إذ إن خصائص هذا الخطاب التداولي قد يستبعد بعض صور الاستدلا الصور ي لصالح أساليب اقناعية أكثر ارتباطا بوظيفة الخطاب وأثره في المتلقي منطق بديل يسمى بالمنطق الوظيفي أو التداولي، وهو منطق لا ينفصل عن وظيفة الخطاب ولا عن نبيته اللغوية، سواء تعلق الأمر ببناء الحجج أو بالآليات اللغوية المستعملة فيها[4]، يتجلى الحجاج في خطاب لغوي تحكمه الأفعال اللغوية وقصد المتكلم وأثر القول وهو ما أسهم في توسيع النظر إلى الحجاج داخل نظريات الأفعال اللغوية الحديثة، حيث انبثقت نظرية الحجاج في اللغة في الأصل من رحم نظرية الأفعال اللغوية التي أرساها أوستن وسورل، ثم جاءديكرو فوسّ ع آفاق هذه النظرية وطور بعض تصوراتها، حيث اقترح ضمن هذا الاطار إدراج فعلين لغويين جديدين

[1]- جورج لايكرف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، 2008م، ص9.

[2]- بنظر: عبد المجيد جميل، البلاغة والاتصال، د.تح، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، د.تح، ص107.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص .108

[4]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، د.تح، الدار البيضاء، الأحمدية، ط1، 1426ه/2006م، ص15.

هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج بوصفهما عنصريين أساسيين في تحليل البعد الحجاجي للخطاب.

الحجاج لا يقوم على الربط الشكلي بين الجمل فحسب، بل يعتمد على ابراز العلاقات المنطقية والدلالية التي تجعل الخطاب قادرا على الإقناع والتأثير، إذ إن دراسة الحجاج في الخطاب التداولي تعن بشروط القول وملابساته وبالمقام الذي ينتج فيه الكلام، وا ن كل خطاب حجاجي يقوم أساسا على القصد والتأثير، حيث يسعى المتكلم من خلاله إلى إقناع المخاطب والتأثير فيه، ولذلك تظهر فيه أهمية أفعال المتخاطبين ودورهم الفعال في بناء عملية الحجاج[1]، لذلك فدلالة الخطاب الحجاجي لا تقف عند ظاهر الألفاظ، بل تتجاوزها إلى المعاني الضمنية وما يرافقها من إشارات وسياقات خفية.

يجب التقرير دلالة لغة الخطاب الحجاجية لا توقف على الظاهر من القول، بل يمكن أن يكون الحجاج بالخطأ، غير المباشر أيضا، كما جاء أبو حامد الغزالي في قوله : "ضربان: ضرب هو نص بلفظه ومنظومة، وضرب هو نص بفحواه ومفهومه"، قال الله ﴿أُفٍّ﴾، ﴿وَلَا تُطِيعُوا مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾، ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، فقد اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم، وما وراء الفتيل والتأفيف، ومن قال "ان هذا معلوم بالقياس، إن أراد به أن المسكوت عنه عرف بالمنطوق فهو حق، وا ن أراد به أنه يحتاج فيه إلى تأمل، أو يتطرق إليه احتمال، فهو غلط"[2]، حيث يرى أو حامد الغزالي من هذا القول أن يبين أن دلالة النصوص ليست نوعا واحدا، بل تنقسم إلى نوعين أساسين هما:

الأول هو النص بلفظه ومنطوقه، أي المعنى الذي يدل عليه الكلام صراحة من خلال ألفاظه المباشرة، أما الثاني هو النص بفحواه ومفهومه، أي المعنى الذي يفهم ضمنا

[1]- ينظر: أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، د.تح، عالم الفكر، الكويت، المجلد 30، 2001، ص101.

[2]- ينظر: أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: د.محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417ه/1997م، ج1، ص20.

من الكلام دون أن يصرح به لفظا، ويضرب أبو حامد الغزالي[1] أمثلة قرآنية لذلك مثل قوله ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾، فالمقصود ليس مجرد النهي عن قول كلمة "أُفٍّ"، بل يفهم منه وبصورة أولىوأسف، تحريم كل ما هو أشد من ذلك من أن ما هو أكثر من الضرب أو الشتم أو الإيلام، وكذلك في قوله: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

فالذرّة هنا تدلّ على القليل جدا، ويفهم منها بالضرورة أن ما هو أكثر من الذرة داخل الحكم، ويؤكد الغزالي أن أهل اللغة متفقون على أن فهم المعنى الأوسع والأشد يكون أسرع وأوضح من الوقوف عند اللفظ الجزئي نفسه، لأنه المقصود من الخطاب هو ما وراء اللفظ لا اللفظ في حد ذاته، ثم يرد على من يقول إن هذا الفهم حاصل بالقياس، فيوضح أن هذا صحيح إذا كان المقصود أن المعنى المسكوت عنه يفهم مباشرة من المنطوق، لأن النص قد يكون أكثر مما يصرح به، ومن هنا يتداخل التصريح مع التلميح، ويعتمد على الايجاد والحذف والتضمين لتحقيق مقاصده دون الإفصاح المباشر عنها، كما ينتقل المخاطب بين الاظهار بحسب اغراضه التواصلية، فتظهر كفاءته في تأويل المعاني وتنظيم حججه بما يناسب المتلقي، وبذلك يصبح فهم الحجاج مرتبطا بدراسة العلاقة بين القول الصريح والقول الضمني[2]، لأن الاقتصار على المباشرة يضعف الخطاب، في حين أن تنويع الأساليب وتوظيف عناصر السياق الاجتماعي والتداولي يعزز قوة التأثير والاقناع.

الخطاب الحجاجي لا يقوم على وسيلة واحدة ثابتة، بل يعتمد على مجموعة من التقنيات والادوات اللغوية التي يختارها المتكلم تبعا للسياق والمقام والغابة التي يسعى إلى تحقيقها، إذ يوظف خصائص اللغةوا إمكانياتها بما يضمن التأثير في المتلقي وكسب اقتناعه[3]، وتتمثل هذه التقنيات في نوعين أساسيين: تقنيات الوصل التي تربط بين الأفكار

---

[1]- ينظر: مرجع نفسه، ص21.

[2]- ينظر: أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، مرجع سبق ذكره، ص23.

[3]- ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في معاني الحروف، تح: فخر الدني قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م، ص3.

والعناصر المتقاربة وتنظمها وتنسق بينها لتكوين معنى منسجم، وتقنيات الفصل التي تقوم على التفريق والتمييز وتقسيم الكل إلى أجزائه أو إبراز الاختلافات بينها، غير أن هذه الأدوات لا تنتج الحجاج بذاتها، وانما تسهم في تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج وعرضها عرضا ملائما، لذلك تتنوع آليات الحجاج بين آليات لغوية ونحوية كالربط السببي والتركب الشرطي والتعليل والوصف وآليات شبه منطقية مثل الروابط الحجاجية والتوكيد والقياس وصيغ التفضيل، وآليات بلاغية كالاستعارة والتشبيه والبديع والتمثيل، وكلها تتكامل لبناء خطاب مقنع ومؤثر.

2- الأدوات اللغوية:

أ- **ألفاظ التعليل:** من الأدوات التي يستعملها المخاطِب لتقديم حججه في الخطاب، ويمكن أن نصطلح عليه بألفاظ التعليل، ومن أبرز أدوات التعليل المفعول لأجله ولفظة "لأن" وغيرها من الصيغ التي تفيد بيان السبب، فالخطيب لا يستعمل هذه الأدوات اعتباطا، بل يوظفها ليقدم سببا أو مبررا لفعل ما، سواء جاء ذلك جوابا عن سؤال صريح أو عن سؤال ضمني مفترض في ذهن المتلقي، لذلك فوظيفة التعليل هي ربط النتيجة بسببها، وجعل القول يبدو منطقيا ومقنعا والمفعول لأجله يدل على سبب وقوع العمل، ويشترك مع عامله في الزمن والفاعل ويأتي مجردا من "ال" والاضافة، ويكون غالبا مصدرا منصوبا، غير أن استعماله في الخطاب الحجاج لا يكون نحويا فقط، بل يؤدي دورا تداوليا[1]، يتمثل في تقوية الحجة وتوجيه المتلقي نحو الاقناع، ثم أداة "لأن" وتؤكد أهميتها في الحجاج، إذ قد يستفتح بها الخطاب لتبرير موقف معين ويورد مثالا حواريا: هل تزوجت الفتاة لأنها غنية؟ لا، ليس هذا السبب. لماذا تزوجتها إذن؟ لأني فقير في هذا المثال تتضح وظيفة التعليل في إبراز السبب الحقيقي للفعل، فالرابط التعليلي جعل الفعل يبدو معقولا ومبررا، وهكذا يتحول التعليل إلى أداة إقناع تكسب الخطاب بعدا منطقيا.

[1]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط4، ج2، ص237.

ولهذا أن ألفاظ التعليل ليست مجر د أدوات نحوية، بل في وسائل حجاجية فعالة تسهم في بناء خطاب مقنع، لأنها كشف العلاقة بين السبب والنتيجة وتمنح الفعل صفة المعقولية والانسجام[1].

ومن الروابط التعليلية ولاسيما الحروف التي سعيد السببية، مثل: لأن، كي، لام التعليل مبينة دورها في الاقناع وبناء المعقولية داخل الخطاب، وأن المتكلم لا يذكر السبب لمجرد الاخبار، بل ليشتمل المخاطب ويقنعه بوجاهة الفعل أو الموقف.

ويؤكد الرابط السببي خاصة "لأن" صالح للاستعمال في الاثبات كما في المتلقي، بغض النظر عن زمن الفعل، مما يمنحه مرونة تداولية واسعة، ثم "كي" واللامات المختلفة مثل لام التعليل واللام الناصبة للفعل المضارع ولام الجحود لأنها تستعمل لتبرير الأفعال واضفاء أو منح بعد مقصدي عليها، وهذه الادوات التعليلية تعد من ركائز الحجاج، لأنها تنشئ علاقة سببية واضحة بين القول والنتيجة، وتحول الخطاب من مجرد إخبار إلى فعل تواصلي يرمي إلى التأثير والاقناع.

يرى إبن هاشم في كتاب "مغني اللبيب" أول ما طبع من هذه الكتب، وقد مكنه هذا التقدم إلى جانب ما كتب حوله من شروح وتعليقات وحواش واستدراكات، وكذلك لما حازه مؤلفه ابن هشام من مكانة علمية عالية ومعتبرة، من أن يسد نقصا كبيرا في بيان المعاني الأدوات ويغطى فراغا واضحا في هذا الجانب[2].

إذا استعمل المحققات (مازن مبارك ومحمد علي حمد الله) هما اللذان قاما بتحقيق كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، حرف اللام في أكثر من تركيب،

[1]- المرجع نفسه، ص238.

[2]- ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في معاني الحروف، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص5.

ويعود سبب هذا الاستعمال إلى رغبتهما في تقديم حجج داعمة لفكرة أن الكتاب قد سد فراغا كبيرا، ولولا السعي إلى إثبات هذه النتيجة لما لجأ إلى هذا الأسلوب[1].

مهد ابن خلدون لحجته استعماله عبارة "والسبب"، إذ يجعل منها مدخلا لما سيقدمه من تعليل، وهذا التمهيد يدل على أن ما يأتي بعدها يمثل حجة داعمة للدعوى القائلة بأن الترف يزيد الدولة في بدايتها قوة إلى قوتها، وتعد هذه العبارة بديلا لغويا لصيغ المفعول له، وهو ما يفسر الصلة القائمة بينهما من حيث إفادة التعليل وبيان السبب.

ومن أدوات التعليل ما يعرف بالوصل السببي، ويقصد به اعتماد المتكلم على ربط أحداث أو أفكار متتابعة بعلاقة سبب ونتيجة، بحيث تقضي كل فكرة إلى اخرى في تسلسل حجاجي منسجم، ففي هذا النوع من الربط تتحول النتيجة إلى مقدمة تنهد لنتيجة جديدة، وهو ما يكسب الخطاب قوة في الإقناع. ويتضح ذلك في المثال "وكان أبو عبد الرحمنالثور ي، يجلس مع ابنه يوم الر أس ويقول له: إياك ونهم الصبيان... فقد قال بعض الحكماء، إذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى، واعلم أن الشبع داعية البشم، والبشم داعية السقم، والسقم داعية الموت"،[2] تبرز هذه المقولة نصيحة يقدمها أبو عبد الرحمن لابنه، حيث يحذره من الافراط في الأكل (النهم) لأن ذلك يؤدي إلى عواقب سلبية، فهو يبدأ النهي عن التشبه بالصبيان في كثرة الأكل، ثم يدعم كلامه بحكمة تبين نتائج هذا السلوك، وتقوم الفكرة على تسلسل سببي واضح، إذن إن النهم يودي إلى الشبع الزائد. وهذا الشبع يسبب البشم (سوء الهضم) ثم ينتج السقم (المر ض) وفي النهاية قد يؤدي المرض إلى الموت. فالمقولة تعتمد على ترابط الأسباب والنتائج لتقوية الحجة، وهدفها إقناع الابن بالاعتدال في الأكل وتجنب الإفراط لما له من آثار خطيرة على الصحة.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 6.

[2]- ينظر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1404ه/1983م، ص205.

فالحجاج لا يقوم على ورقة واحدة فقط بل على سلسلة من الحجم المترابطة، حيث تقضي كل مقدمة إلى نتيجة، وهذه النتيجة يمكن أن تصبح بدورها مقدمة لحجة أخرى، وهذا ما يسمى بالتسلسل الحجاجي الذي يجعل الخطاب أكثر قوة وتأثيرا في إقناع المتلقي. العلاقة بين المقدمات والنتائج ليست علاقة منطقية صارمة فقط، بل هي علاقة حجاجية تهدف إلى التأثير والإقناع، لذلك فإن المتكلم يختار الحجج ويرتبها بطريقة تدريجية، بحيث ينتقل من فكرة إلى أخرى إلى أن يصل إلى النتيجة النهائية، وبعد ذلك يأتي دور التراكيب الشرطية مثل: (إذا، فإن...) في بناء هذا التسلسل الحجاجي، حيث تساعد على ربط النتائج بالمقدمات بشكل واضح، وتجعل الخطاب أكثر انسجاما وقوة في الإقناع، وعليه فالحجاج يقوم على تنظيم الحجج في سلسلة مترابطة، تستعمل فيها وسائل لغوية مختلفة من أجل التأثير في المتلقي والوصول إلى نتيجة مقنعة[1].

وقد يعتمد المخاطب باستعمال التراكيب الشرطية المضمرة، التي لا تذكر فيها أداة الشرط صراحة، لكنها تفهم من خلال العلاقة المنطقية الملازمة بين طرفي الكلام ويتجلى ذلك في خطاب ابن خلدون الفصل الرابع: في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك، أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق، وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه[2].

وهذا يعني أن قيام الدول العظيمة يكون أساسه الدين، سواء كان عن طريق القوة أو الدعوة إلى الحق، ويفهم من تسلسل كلامه وجود شرط ضمني مفاده أن تحقق الملك يقتضي التغلب، وهذا التغلب لا يكون إلا بالعصبية، والعصبية بدور تحتاج إلى اتفاق الأهواء واجتماع القلوب، وهذا لا يتم إلا بمعونة من الله في إقامة الدين، وعليه فإن هذا الترابط

[1]- ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة قطب العرب، د.تح، المكتبة العلمية، بيروت، 1357هـ، ج1، ص10.

[2]- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، د.تح، دار الجيل، بيروت، ص 193.

يكشف عن بنية شرطية غير مصرح بها، تسهمفي تقوية الرحمة وا ٍقناع المتلقي. وجاء في قوله تعالى﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ سورة الانفال، الآية: 63. وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف، إذا انصرفت إلى الحق ورفت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد"، وتفسير ذلك بأن القلوب إذا اتجهت نحو الأهواء الباطلة والتعلق بالدنيا، فإنها تميل إلى التنافس والصراع، فينتشر الخلاف بين الناس، أما إذا توجهت إلى الحق وابتعدت عن الباطل، وأقبلت على طاعة الله، فإنها تتوحد في مقصدها، فيزول التنافس ويقل النزاع، ويحل محله التعاون والتآزر، فوحدة القلوب لا تتحقق بالأسباب المادية بل الرجوع إلى القيم الدنية والنية الصادقة، لأن ذلك هو الذي يجمع الناس ويؤلف بينهم.

ب- **الأفعال اللغوية:** يرى فات ايمرين وغروتندورست أن الأفعال اللغوية تؤدي أدوارا متعددة داخل العملية الحجاجية، حيث ينهض كل نوع منها وظيفة محددة في التفاعل بين طرفي الخطاب، وهذه الأفعال لا تستعمل بشكل عشوائي، بل تتدرج بحسب درجة توظيفها وأهميتها في الحجاج، فالمخاطب يعتمد بدرجة كبيرة على الأفعال التقريرية، إن لم يكن يستعمل معظمها ليعبر عن وجهة نظره ويحدد موقفه من موضع الخلاف، كما يوظفها لمواصلة حجاجه عبر التأكيد أو الادعاء، ولدعم رأيه أو حتى التراجع عنه إذن تبين له عدم صلاحيته، وقد يستخدم هذه الأفعال للتعبير عن التنازل عن دعواه، وكذلك للإسهام في بناء النتيجة الحجاجية وتأسسها[1]، والهدف من الخطاب هو المعيار الأساسي الذّي يعتمد عليه في التميز بين الخطاب الحجاجي وغيره، إذ أن الخطاب الحجاجي يهدف أساسا إلى إزالة شك المخاطب بخصوص وجهة نظر معينة محل خلاف، ومن هذا

[1]- ينظر: فرانس غان ايمرين وروب غروتندورست، تحليل الخطاب الحجاجي، ضمن - رويرتتراب وجاينس شوتس، آفاق في الحجاج،المرجع نفسه، ص 86.

المنطلق تتبعا أصناف الأفعال اللغوية التي صنفها جون سيرل، فلاحظ أن بعض الافعال يؤدي وظيفة حجاجية تسهم في الاقناع في حين أتى بعضها الأخير لا يضطلع بهذا الدور.

فالأفعال الإلتزامية تستعمل عندما يريد المتعلم تبني موقف معين أو الدفاع عنه، فهي تعبر عن موقف المخاطب الذي يهدف إلى التأثير في المخاطب، سواء عبر تأييد دعوى ما او مناقشتها وصولاً إلى اتفاق معين، كما تستخدم هذه الأفعال لإبداء الموافقة أو الرفض، واتخاذ قرار ببدء النقاش وفق ضوابط محددة.

اما الافعال التوجيهية، فلا يستعمل المتكلم جميع أنواعها، لأن طبيعة النقاش الحجاجي لا تسمح بذلك خاصة ما يتصل بالأوامر أو النواهي، لذلك يقتصر استخدامها على بعض الأنواع التي تقدم الحجاج، مثل طلب توضيح أو الدفاع عن وجهة نظر، ومن جهة أخرى، إذا كان الحجاج يقوم على بنية السؤال والجواب فليس من الضروري أن يكون السؤال صريحا، بل يكون ضمنيا، لأنه يعكس وجود اعتراض او إشكال.

وبذلك يصبح السؤال عنصرا أساسيا في توجيه مسار الحجاج، حيث يقابله جواب مناسب، فلكل اعتراض أو سؤال حجة ترد عليه، ويعد السؤال أداة تبرز طبيعة الحجاج وتسهم في بنائه.

ج- **الحجاج بالتبادل:** يحاول المتكلم من خلال هذه الآلية أن يعرض نفس الحل في وضعتين مختلفتين لكن متقابلتين، حيث يقيم بينهما نوعا من التشابه في العلاقات والسياقات، ومن خلال هذا التشابه يسعى إلى نقل وجهة نظره إلى المخالب والتأثير فيه، حتى يتبنى نفس الموقف أو يقتنع،[1] ومثال ذلك:

- ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

[1]- ينظر أحمد زكيا صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، د.تح، المكتبة العلمية، بيروت، 1357هـ، ج1، ص12.

- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
- لا ترض لي إلا ما ترضاه لنفسك.

المهم من هذا السياق هو توجيه المخاطب الى تطبيق قاعدة العدل والمساوات، أي أن يقيس الأمور على نفسه قبل أن يطلبها من غيره، فالمتكلم يسعى إلى إقناعه بأن ما لا يقبله لنفسه، لا ينبغي أن يفرضه على الآخرين، مثلما يفعل الموظف عندما يعتذر عن عمل لا يستطيع إنجازه، مبينا أن العدل يقتضي مراعاة القدرة والظروف.[1]

د- **اسم الفاعل:** يعد اسم الفاعل من الطرق التي يستخدمها المتكلم في الحجاج لبرز الحكم الذي يريد أن يصل اليه ويبني عليه النتيجة التي يسعى إليها، فاسم الفاعل هو اسم مشتق يدل على معنى موجود وحادث وعلى فاعله في نفس الوقت، أي أنه يجمع بين أمرين: المعنى المجرد الحادث، ومن يقوم بالفعل.

وغالبا ما يستخدم اسم الفاعل للدلالة على المعنى المجرد الحادث، لكنه قد يشير أحيانا إلى معنى دائم او شبه دائم، ومن المهم أن تعرف أن دلالته على المعنى المجرد تكون عامة، أي أنها لا تحدد ان كان الحدث قليلا أم كثيراً، بل هي صيغة أساسية قابلة للتطبيق على كل حالة حسب سياق الكلام،[2] ومثال ذلك:

- فالتفت إليه الأوزاعي فقال له: أسأل عن خمس أو ثلاث.
- فقال غيلان: عن ثلاث.
- قال الأوزاعي: هل علمت أن الله أعان على ما حرم؟
- قال غيلان: ما علمت وعظمت عنده.
- قال: فهل علمت أن الله قضى على ما نهى؟
- قال غيلان: هذه أعظم، مالي بهذا من علم.

[1]- ينظر: حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته، د.تح، عالم الكتب الحديث، إربد -الأردن، 1431هـ/2010م، ص87.

[2]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، د.تح، دار المعارف، مصر، ج3، ص238.

- قال: فهل علمت أن الله حال دون ما أمر؟
- قال غيلان: حال دون ما أمر، ما علمت.
- قال الأوزاعي: هذا مرتاب من أهل الزيغ، فأمر هشام بقطع يده ور جله، ثم ألقى به في الكناسة.[1]

ففي هذا المثال سياق حجاجي عقدي يصور مناظرة بين العالم الأوزاعي وغيلان الدمشقي، بحضور الخليفة هشام بن عبد الملك، فالحوار هنا يدور حول قصة عقدية كبرى وهي: هل الانسان مخير في أفعاله ام مجبر عليها (مسألة القدر)؟

فغيلان الدمشقي كان يميل إلى القول بحرية الإنسان (مذهب القدرية). اما الأوزاعي دافع عن الرأي السائد أنذاك القائم على أن كل شيء داخل في علم الله وقدره.

والأوزاعي لم يصرح برأيهمباشرة، بل اعتمد على اسئلة متدر جة:[2]

- هل الله يعين على الحرام؟
- هل يقضى بما نهى عنه؟
- هل يمنع ما أمر به؟

وكل هذه الأسئلة تخرج الخصم، لأنها تقود إلى نتيجة ضمنية: إذا كان الله لا يعين على الحرام ولا يمنع الطاعة، فهذا يصف قول غيلان، وهنا عجز غيلان عن الجواب (ما علمت)، والأوزاعي استنتج هذا مرتاب من أهل الزيغ، ثم صدر الحكم السياسي بالعقوبة. والهدف من هذا الحوار هو دفع غيلان إلى الاقرار بأن الله لا يمكن أن يأمر بشيء ثم يمنع حدوثه، ولا ينهي عن شيء ثم يقضي به، وبالتالي توجيهه إلى نتيجة معينة بطريقة غير مباشرة.

[1]- ينظر: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: مفيد معقد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404ه/1983م، ج7، ص219.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص 220.

ومن خلال هذا المثال يظهر اسم الفاعل في الفعل ارتاب على وزن مُفْتَعِلٌ ومعناه الشاك غير المتيقن. واستعمل لوصف غيلان بأنه في حالة شاك وانحراف فكري، وهو حكم حجاجي سلبي.

موسية إلى شيعة معينة بطريقة غير مباشرة.

ذ- **اسم المفعول:** يصف اسم المفعول ضمن الأوصاف الحجاجية التي يستعملها المتكلم في الخطاب من أجل تقوية حجته وتوجيه المتلقي نحو النتيجة التي يريدها.

فهو اسم مشتق، يستعمل للدلالة على معنى مجرد غير دائم، أي حدث وقع في زمن معين، كما يدل في الوقت نفسه على الشيء الذي وقع عليه هذا الفعل، فاسم المفعول يجمع بين عنصرين أساسيين لا يمكن فصلهما، وهما: المعنى المجرد (الحدث) والمفعول به (الذي تأثر بالفعل)، وهذا ما يجعله أداة فعالة في الحجاج لأنه يسمح للمتكلم بتحديد الفعل ونتيجته في آن واحد، مما يسهم في توضيح الفكرة وتقوية الإقناع.

فاسم المفعول يؤدي دورا مهما في بناء الحجاج، لأنه يربط بين الفعل ونتيجته بطريقة لغوية واضحة تساعد على توجيه فهم المخاطب.[1]

ومثال ذلك ما يجار بالشكوى إلى غير ه.

- أنا مظلوم، انصفوني.[2]

والمتكلم هنا لا يكتفى بطلب الانصاف فقط، بل يقدم نفسه أولا في صفة معينة وهي كونه مظلوما وهذه الصفة ليست عادية، بل تحمل معنى حجاجيا، لأنها تضعه في مرتبة تستوجب التعاطف والمساعدة من الآخرين، ولو كان في وضع مختلف، كأن تكون ظالما بدل مظلوم فلن يكون له نفس الحق في طلب الانصاف، ولن يكون كلامه مقنعا للآخرين،

[1]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، د.تح، دار المعارف، مصر، ج 3، ص 271.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 272.

وهذا يعني أن قوة الحجة مرتبطة بالصفة التي نسبها المتكلم إلى نفسه، والمثال يبين كيف يمكن للمتكلم أن يستخدم وصفا معينا (مثل: مظلوم) ليبني عليه طلبه ويقنع الآخرين.

- **قوانين السلم الحجاجي:**

يقوم السلم الحجاجي على مجموعة من القوانين التي تنظم العلاقة بين الحجة والنتيجة، وتحدد درجة فاعلية كل حجة في توجيه الخطاب نحو غاية حجاجية معينة، ومن هنا يصبح الخطاب الحجاجي ليس مجرد عرض الأفكار، بل بناءا منظما يعتمد على ترتيب الحجج وتنسيقها بما يخدم موقف المتكلم ويقوي حجته. ومن قوانين السلم الحجاجي:

1-قانون النفي: هو قانون حجاجي يقوم على أن نفي القول يغير اتجاهه الحجاجي، فإذا استعمل المتكلم قولا معينا (أ) للدفاع عن نتيجة محددة (ن)، فإن نفي القول (لا أ) يتحول عند نفس المتكلم إلى حجة تدعم النتيجة المعاكسة. وبمعنى آخر تنقلب القيمة الحجاجية للقول بتغير صياغته من الإثبات إلى النفي[1].

ومن الأمثلة الموضحة لهذا القانون كما يلي:

محمد اجتاز في المرة الأولى اختبار السياقة لدعم نتيجة من قبيل محمد ماهر أو ذكي فهنا العلاقة الحجاجية هي (أ) اجتاز من أول مرة ~(ن) ماهر/ ذكي، فإنه يتعين قبول القول. وعند نفي القول: محمد لم يجتز اختبار السياقة من المرة الأولى فهنا النفي يصبح حجة تدعم النتيجة المضادة، محمدليس ماهر ا او محمد ليس ذكيا أي (لا أ) لم يجتز ~ (لا ن)) ليس ماهر/ ليس ذكيا

فقانون النفي يبين أن نفى الحجة يؤدي إلى قلب النتيجة الحجاجية فتتحول من إثبات صفة إيجابية (الذكاء، المهارة) إلى نفيها.

2-قانون القلب: هو قانون حجاجي ينص على أن الانتقال من القول المثبت إلى نفيه يؤدي إلى قلب الاتجاه الحجاجي، وهو القانون الثاني المرتبط بالنفي والمكمل له.

[1]- ينظر: أوزفالد ديكرو، السلالم الحجاجية، منشورات مينوي، د.تح، باريس، 1984، ص 27.

وقد يرى أوزفالد ديكرو وجان كلود أنسكومبر أن السلم الحجاجي المرتبط بالأقوال المنفية يكون معكوسا للسلم المرتبط بالأقوال المثبتة، أي أن ترتيب قوة الحجج لا يظل ثابتا، بل ينقلب عند الانتقال من الاثبات إلى النفي[1].

أي إن إذا كان القول (أ) أقوى من القول (ب) في دعم نتيجة معينة (ن).

فإن نفيه (لا أ) يصبح أقوى من نفى (لا ب) في دعم النتيجة المضادة (لا ن). وهكذا يحدث انقلاب في ترتيب الحجج داخل السلم الحجاجي تبعا لتحويلها من الإثبات إلى النفي.

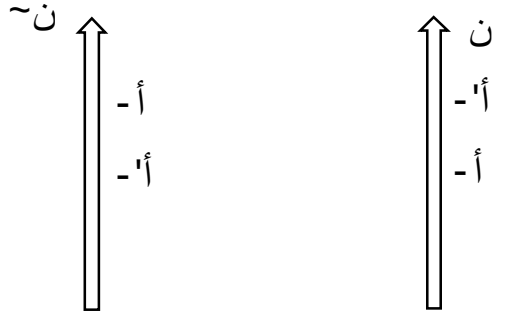

ويشرح العزاوي الفكرة بصيغة أخرى: أنه إذا كانت إحدى الحجتين تعد أقوى من الأخرى في إثبات نتيجة معينة، فإن العلاقة تنعكس عند الانتقال إلى النقيض، بحيث يصبح نقيض الحجة الأضعف أكثر قوة من نقيض الحجة الأقوى في إثبات النتيجة المضادة.

وكلما تفوقت حجة على أخرى في دعم نتيجة ما، انعكس هذا التفوق عند قلب الموقف، فيغدوا نقيض الحجة الأعف أقدر على تدعيم النتيجة المخالفة من نقيض الحجة الأقوى، ومن الأمثلة على ذلك:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتور اه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه اقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجيستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص27.

من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.[1] وهذا يعني إذا نفيت الحجة الأقوى في السلم الحجاجي، فإن ذلك يقود إلى نفي الحجة الأضعف، فينقلب ترتيب السلم من التصاعد إلى التنازل.

إن تطبيق قانون القلب الحجاجي لا يكتمل الا بالانتباه إلى نوع النفي المستعمل في الخطاب، إذ لابد من التميز بين النفي الوصفي والنفي الما وراء لغوي، فالنفي الوصفي يقتصر على إنكار مضمون القول داخل نفس السلم الحجاجي، ومن ثم يسمح بقلب ترتيب الحجج (من الأقوى إلى الأضعف)، أما النفي الما وراء لغوي فلا يكتفي برفض المضمون، بل يتجاوز ذلك إلى الاعتراض على طريقة صياغته أو على افتراضاته الضمنية، وهو ما قد معطل اشتغال قانون القلب أو يغير مساره. وبالتالي، فإن فهم نوع النفي شرط اساسي لضبط كيفية عمل القلب الحجاجي وتحديد اتجاه السلم بدقة[2].

وهنا يقول ديكرو: "يجب علينا إذا أن تظهر الفروق المرتبطة بقانون القلب الحجاجي مع بيان كونه يخص فقط النفي الوصفي الذي يقدم الوقائع مباشرة، ولا يستهدف منذ البداية معارضة قول سابق. أما النفي الما وراء لغوي، الذي يساوي عبارة لست محقا في أن تقول ... فبإمكانه حسب الحالات أن يحتفظ أو يعكس القيمة الحجاجية"[3].

يبين ديكرو في هذا القول أن قانون القلب الحجاجي لا يشتغل مع كل أنواع النفي مباشرة، أي يصف حالة في العالم دون أن ندخل في جدال مع قول سابق.

مثل: لم يحصل زيد على الدكتوراه، في هذا النوع يشتغل قانون القلب بوضوح.

- إذا كان لدينا سلم حجاجي (الدكتوراه أقوى من الماجستير).
- فإن نفي الأعلى (الدكتوراه) يؤدي إلى نفي الأدنى (الماجستير).

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، د.تح، ط1، العمدة في الطبع، 2006م، ص22.

[2]- ينظر: أوزفالد ديكرو، السلالم الحجاجية، د.تح، ص28.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص29.

أي أن السلم ينقلب اتجاهه تلقائيا، أما النفي الما وراء لغوي لما يهدف فقط إلى نفي الواقعة، بل إلى الاعتراض على قول سابق أو تصحيحه، ومعناه الضمني: "انت مخطئ في قولك.." مثل: زيد حصل على الدكتوراه.

- فنرد: لا، لم يحصل على الدكتوراه بل على الماجستير.

هنا النفي: لا يذكر كل السلم، بل يصحح الدرجة داخل السلم.

يبين ديكرو أن النفي الوصفي ~ يخضع لقانون القلب (يعكس ترتيب السلم).

اما الذي ما وراء لغوي~ لا يخضع له بالضرورة لأنه: يحافظ على نفس القيمة الحجاجية (نفس الاتجاه)، أو يعكسها حسب المقام.[1]

ومن خلال هذا تلاحظ أن قانون القلب يعمل بانتظام فقط مع (النفي الذي يصف الواقع مباشرة، أما النفي الذي يرد على كلام سابق، فهو نفي جدالي (ما وراء لغوي). ولذلك يكون سلوكه الحجاجي مرنا، إما يحافظ على السلم أو يغيره.

3- **قانون الخفض:** يبرز قانون الخفض في الحجاج اللغوي أن النفي الوصفي لا يفهم بوصفه إلغاءا تاما للصفة، بل بوصفه عملية تقليل أو خفض في درجة هذه الصفة داخل سلم حجاجي معين. بمعنى ان المتكلم حين ينفي صفة ما، لا يخرجها من دائرة الإمكان بشكل مطلق،وا ٍنما يضعها في مرتبة أدنى مما قد يتصوره المخاطب. ومن هنا فان النفي يؤول ضمنيا بمعنى اقل من mains que أي أنه يوجه فهم المخاطب نحو درجة أخف أو أضعف من الصفة المنفية، لا نحو نفيا كليا. وهذا ما يجعل النفي أداة حجاجية دقيقة،تستعمل لتعديل موقف المخاطب دون الدخول في تعار ض حاد. ومن الأمثلة على ذلك: "الجو ليس بارداً"، فهنا لا ينفي البرودة إطلاقا، بل يشير إلى أن درجة البرودة أقل من الحد الذي يوصف معه الجو عادة بأنه بارد، اي ربما يكون معتدل او مائل للبرودة فقط. وبذلك تنخفض قيمة الصفة بدل إلغائها.

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

اما المثال الثاني: "لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل"، لا يعني ذلك عتاب الأصدقاء تماما، بل يدل على عدد الحاضرين كان أقل من المتوقع أو من المستوى الذي يوصف بالكثرة[1]، فالمتكلم هنا يوجه المخاطب إلى استنتاج ضمني مفاده أن الحضور كان ضعيفا نسبيا، وعليه فإن قانون الخفض يكشف عن البعد الحجاجي الكامن في النفي، حيث يتحول من مجرد أداة لغوية إلى وسيلة لتوجيه المعنى والتأثير في المتلقي، عبر تقليص درجة الصفة بدل نفيها بشكل مطلق.

وجاء في مثال آخر:

- إذا لم يكن الجو باردا. فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي:

- لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل.

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الناتج عن النفي التي لا يمكن تحديد موقعه بدقة داخل سلم حجابي كما أنه لا ينتميإلى سلم تدر جي موضوعي يمكن ضبطه بمعايير فيزيائية دقيقة، لذلك، لا يمكن اعتبار الأقوال الإثباتية من قبيل الجو بارد، والأقوال المنفية مثل: الجو ليس باردا، مندرجة ضمن الفئة الحجاجية نفسها، ولا ضمن السلم الحجاجي ذاته، لأن النفي لا يعبر عن درجة مقابلة داخل نفس السلم، بل يحدث تحولا في طبيعة التقييم الحجاجي نفسه.[2]

ولتبسيط هذه المسالة، يمكن القول إن السلم التدريجي الموضوعي، مثل سلم درجات الحرارة، لا يملك في حد ذاته اتجاها محددا معقداً ، فهو يمكن أن يقرأ في اتجاه البارد كما يمكن أن يقرأ في اتجاه الحار. فالمعايير الفيزيائية تقدم لنا تدرجا خطيا فقط، دون أن تفرض علينا جهة معينة نبدأ منها أو ننتهي إليها، لذلك لا نستطيع أن نقول إن درجة 18 تأتي

[1]- ينظر: أبو بكر الغزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص 24.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

بالضرورة بعد 17 وقبل 19 من حيث القيمة الحجاجية، بل هذا مجرد ترتيب عددي محايد، لكن عندما يحدث توافق بين هذا التدرج الفيزيائي المحايد والسلم الحجاجي، الذي يمتلك اتجاها واضحاً مثل الانتقال من الاضعف إلى الأقوى، فإن هذا التوافق هو الذي يسمح لنا بتحديد الاتجاه المناسب، واختيار القراءة التي تخدم الغرض الحجاجي في الخطاب.[1]

ويمكن صياغة قانون الفض بطريقة بسيطة عند النظر إليه داخل سلم تدريجي معين، فإذا كان القول (أ) يعبر عن درجة محددة داخل هذا السلم، فإن نفيه لا يلغي هذه الدرجة، بل ينقلها إلى مستوى أدنى منها، أي أن القول المنفي لا يبقى في نفس المرتبة، بل يتحقق فقط في منطقة أقل من الدرجة الأصلية داخل نفس التدرج وهذا هو جوهر قانون الخفض، حيث يتم الانتقال من درجة إلى درجات أضعف داخل السلم نفسه[2].

ولفهم هذا القانون بشكل دقيق ينبغي أن نجمع بين السلم الحجاجي والتدرج الفيزيائي في آن واحد، لأن كل واحد منهما يكمل الآخر، فعند النظر إلى النفي في الإطار المزدوج نلاحظ انه يوجد الفهم في اتجاه معين داخل التدرج. فمثلا نفي "الحار" يحتم الانتباه إلى الأسفل أي نحو درجات أقل في سلم الحرارة (نحو الدافئ، أو البارد) في حين أن نفي البارد يدفعنا إلى الصعود نحو درجات أعلى (نحو الدافئ، أو الحار)، فلذلك فإن النفي لا يكون محايدا بل يفرض اتجاها معينا داخل التخرج الفيزيائي، وفق ما ينسجم مع السلم الحجاجي[3].

الحجاجي[3].

الجو حار النفيليس الجو حار ا ليس الجو باردا الجو بارد النفي

[1]- ينظر: أوزفالد ديكرو، السلالم الحجاجية، ص 31.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

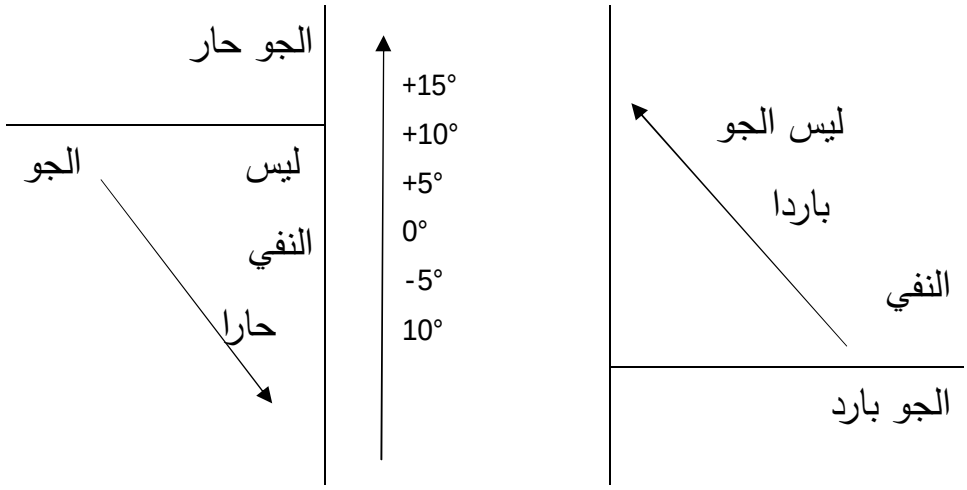

يتضح من خلال ما سبق أن تطبيق هذه القوانين، سواءا كلها أو بعضها يساعد على فهم كيفية تنظيم الخطاب وتسلسله، كما يبين المسارات التي يتفاعل ضمنها كل من المتكلم والمخاطب داخل وضعيات تواصلية محددة، بما ينسجم مع المقاصد التي يدركها المتلقي في الغالب. كما أن دراسة طرق اشتغال هذه الآليات تمكننا من استعمال وسائل واضحة تنتمي إلى المجال الليساني، دون أن تتعارض مع الوظيفة الأساسية للغة، وهي التأثير في المخاطب وتوجيهه. فاللغة تستعمل هنا كأداة حجاجية تعتمد على الاستدلال الطبيعي بهدف إقناع المتلقي، ودفعه إلى تبني الأطروحة، ثم كسب تأييده وتصديقه.

الفصل الثالث:

دراسة تطبيقية حجاجية

في المقامة الحلوانية

تمهيد:

تعدّ المقامة الحلوانية من أشهر مقامات بيع الزمان الهمذاني، وهي نموذج مميّز لفن المقامة الذي يجمع بين السرد القصصي والزخرفة البلاغية والبعد الحجاجي. وقد تندرج المقامة الحلوانية ضمن سياق أدبي يهدف إلى الامتناع والإقناع في آن واحد، حيث يوظف الهمذاني اللغة توظيفاً فنياً على السجع والمحسنات البديعية، إلى جانب بناء حجابي محكم. وقد تبرز المقامة قدرة الهمذاني على المزج بين الطرافة والبلاغة، حيث لا يكتفي بسرد الأحداث بل يسعى إلى استمالة المتلقي وإقناعه من خلال وسائل لغوية وحجاجية متعدّدة، وعليه فالمقامة الحلوانية ليست مجرد حماية فكاهية، بل هي نص أدبي غني بالدلالات، يكشف عن مهارة صاحبه في توظيف اللغة لخدمة أغراض جمالية وحجاجية في آن واحد.[1]

<u>المبحث الأول: شرح وتحليل المقامة الحلوانيةوخصائصها:</u>

1-شرح المقامة الحلوانية:

يتحدث عيسى بن هشام في المقامة الحلوانية، عن عودته من الحج، فيقول إنه عندما عاد من الحج ووصل إلى مدينة حلوان وظهرت عليه آثار السفر حيث طال شعره واتسخ بدنه فطلب من خادمه أن يجد له حماما مناسباً وحجاماً مناسباً.

واشترط لذلك شروطاً وهي أن يكون الحمام واسعاً ونظيفاً وأن يكون الماء فيه عذباً والهواء نقياً، وأن يكون الحجام ماهراً حاد الشفرة ونظيف الثياب وقليل الكلام. فخرج خادم عيسى بن هشام ليبحث عن ذلك الحمام والحجام وأطال البحث حتى عاد معه الجواب والطلب، وأخذ عيسى بن هشام للحمام، لكن كانت تجربته تعيسة سيئة، وعاقب خادمه على اختياره السيئ.[2]

---

[1]- ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس (تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين)، د.تح: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج1، ط7، 1986، ص 115.

[2]- ينظر:د. مصطفى الشكعة، البديع الزمان الهمذاني، د.تح، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1423، 2003م، ص 353.

وقد اتخذت المقامة طابعاً فكاهياً لطيفاً، حيث يقدم الراوي (عيسى بن هشام) مشهداً داخل الحمام بطريقة ساخرة تبدأ الحكاية بوصف دخول رجلين إلى الحمّام وحدوث خلاف بينهما حول رأس الزبون يدعي كل واحد أنه يملكه أو يخصه، وهو موقف عبثي يثير الضحك. هذا الصراع يعرض بأسلوب ساخر يجعل القارئ ينتقل من الأساس بالفكاهة إلى الابتسام. وبعد ذلك تتعمق المقامة في تصوير المشاحنة بين الرجلين، حيث يدعي كل واحد أحقيته بالرأس، ويقدم مبرراته الخاصة، وهنا يظهر البعد الحجاجي، إذ إن كل طرف يحاول إقناع الآخر أمام صاحب الحمّام بصحة دعواه. لكن هذا الحجاج لا يقوم على منطق حقيقي بقدر ما يقوم على السخرية والمغالطة، مما يعزز الطابع الفكاهي، فالقارئ يدرك منذ البداية أن النزاع غير منطقي،[1] وبعد ذلك يأتي دور صاحب الحمّام الذي يحاول فض النزاع بطريقة عقلانية، فيلجأ إلى شاهد (عيسى بن هشام)، غير أن هذا الأخير لا يتردد ولا يحسم الأمر، وهو ما يضيف بعداً آخر من الطرافة، لأن القارئ ينتظر حلاً، لكن الموقف يزداد تعقيدا، وعندما يرى صاحب الحمّام بسخرية يصل المشهد إلى ذروته الفكاهية، حيث تتحول الجدية الظاهرة إلى هزل صريح.

وبعد ذلك ينتقل إلى نوع آخر من الفكاهة قائم على التّحريف والمبالغة، حيث يصف الحجّام مدينة "قم" بأوصاف غير واقعية، مثل حديثة عن مدّ النيل فيها، هذه الصورّ الخيالية تكشف: عن أسلوب تهكمي يهدف إلى نقد الكذب والمبالغة في الكلام، كما تعكس قدرة الكاتب على خلق عالم غير منطقي لكنه ممتع.

فالقارئ هنا لا يصدق ما يقال، بل يستمتع بالمفارقة بين الواقع والخيال.

ومن خلال هذا يتضح أن المقامة لا تقتصر على الإضحاك فقط، بل تحمل وظيفة أعمق، إذ تكشف سلوكيات بشرية مثل: الطمع، والمغالطة، والتفاخر وتنتقدها بأسلوب غير

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 354

مباشركما تبرز مهارة الهمذاني في توظيف اللّغة، حيث يجمع بين السّرد والحوار، ويستخدم التكرار والتضخيم لإبراز الطابع الحجابي والفكاهي في آن واحد.[1]

2-تحليل المقامة الحلوانية:

تعدّ المقامة الحلوانية من أبرز مقامات بديع الزمان الهمذاني، إذ تجمع بين الطابع القصصي والأسلوب البلاغي المكثف الذي يخدم غرضًا حجاجيًا واضحًا، تدور أحداثها حول شخصية البطل المحتال (أبي الفتح الإسكندري) الذي يوظّف فصاحته وبلاغته للتأثير في المتلقين واستمالتهم، حيث يعمد إلى استعمال مختلف أساليب الإقناع من سجع وجناس وطباق، ممّا يمنح الخطاب قوة تأثيرية تتجاوز مجرد الزخرف اللفظي.

ويظهر السّارد (عيسى بن هشام) كوسيط ينقل الوقائع بأسلوب يجمع بين الإمتاع والإقناع فيكشف عن قدرة اللغة على توجيه الفكر والتأثير في السلوك، كما تتّسم المقامة ببنية سردية محكمة تبدأ بموقف عادي ثم تتصاعد نحو حيلة لغوية ذكية تنتهي غالبًا بمفارقة طريفة تحمل في طياتها نقدًا اجتماعيًا، خاصة ما يتعلق بالخداع والتكسب بالحيلة.[2] ومن الناحية الحجاجية توظّف المحسنات البديعية ليس فقط للتزيين، بل لتقوية الحجّة وإضفاء مصداقية على الخطاب إذ تجعل الكلام أكثر وقعًا في نفس المتلقي وأسهل في الحفظ والتّداول. وهكذا تكشف المقامة الحلوانية عن تداخل الفن والوظيفة الإقناعية، حيث تتحول البلاغة إلى أداة حجاجية فعّالة تسهم في بناء خطاب يجمع بين المتعة والفائدة.

3-خصائص المقامة الحلوانية:

تعد المقامة الحلوانية نموذجاً مميزا من مقامات بديع الزمان الهمذاني، حيث تجسد أبرز الخصائص الفنية لهذا الفن الأدبي ومن بينها:[3]

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 354.

[2]- ينظر: مصطفى الشكعة، مرجع سبق ذكره، ص 355.

[3]- ينظر: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: د.بشار غوار معروف، مجلد 01، ص 261.

- تتميز المقامة بكونها نصا سرديا يجمع بين الحكاية والطرافة، إذ تقوم على قصة تنتهي غالبا بنوع من الفكاهة التي تخفف من جدية الموضوع، وفي الوقت نفسه تحمل في طياتها موعظة أو حكمة تقدم للقارئ بشكل غير مباشر. وهذا المزج بين الإمتاع والإفادة يعد من أبرز خصائص من المقامات، حيث لا يقتصر دورها على التسلية فحسب بل يتعداه إلى التوجيه والإرشاد.
- التزمت المقامة التزاما فنيا واضحا على مستوى اللغة، إذ جاءت لغتها مصنوعة بعملية تعتمد على الفصاحة والبلاغة مع توظيف ألفاظتجمع بين السهلة أحيانا والغرابة أحيانا أخرى، مما يمنح النص طابعا مميزا، وقد برع الراوي عيسى بن هشام في نقل الأحداث بأسلوب لغوي منسجم ومشوق استطاع من خلاله تحقيق التوازن بين الوضوح والإدهاش وهو ما يعكس مهارته في السرد وقدرته على شد انتباه المتلقي
- كثرة توظيف المحسنات البديعية في المقامة الحلوانية، خاصة السجع الذي يعدّ من أبرز سماتها الأسلوبية فقد ساهم هذا التوظيف في إضفاء إيقاع موسيقي على النص، وجعل العبارات أكثرجاذبية وتأثيرا في نفس القارئ، كما عزز البعد الجمالي للنص وعمق دلالاته الحجاجية، وهو ما سنتطرق إليه في هذا الفصل التطبيقي من خلال تناول أبعاده الحجاجية.
- اتخذت المقامة الحلوانية من حيث البناء السرديطابعا إكيدا قائما على تعدد الأحداث وتتابعها، حيث تتطور الوقائع بشكل مندرج، فتتصاعد نحو التأزم قبل أن تصل إلى لحظة الانفراج وحل العقدة. وهذا التسلسل في الأحداث يضفي على النص حيوية وتشويقاً، ويدفع القارئ إلى متتابعة مجريات القصة باهتمام حتى نهايتها.[1]

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 262.

المبحث الثاني: سياق وصيغة الحجج في المقامة الحلوانية:

1-سياق المقامة:

تتدرج المقامة الحلوانية، لبديع الزمان الهمذاني ضمن سياق أدبي سردي حجاجي فكاهي، حيث تدور المقامة حول رحلة يقوم بها الراوي عيسى بن هشام، حيث ينزل بمدينة حلوان بعد عودته من الحج فيقصد حمام للاستراحة، وهناك يلتقي بشخصين تدخلان في نزاع طريف حول ملكية الرأس، ويتحول هذا النزاع إلى مشهد حجاجي ساخر، يستعرض فيه كل طرف حججه بأسلوب بلاغي قائم على الفصاحة والمحسنات البديعية، والسياق العام في المقامة يتحدد كالآتي:[1]

- سياق مكاني: الحمام بمدينة حلوان.
- سياق زماني: بعد رحلة الحج (زمن الاستراحة والترويح).
- سياق سردي: حكاية يرويها عيسى بن هشام.
- سياق حجاجي: جدال بين شخصين لإثبات ملكية الرأس.
- سياق فكاهي: يقوم على الطرافة والمفارقة لإيصال العبرة.

ويخدم هذا السياق غاية المقامة الأساسية، وهي الإمتاع والإقناع في آن واحد، عبر توظيف اللغة المزخرفة والمحسنات البديعية في عرض موقف بسيط بشكل فني معقد.

وتخدم هذه السياقات البعد الحجاجي لنص المقامة، بما تخلقه من جوٍّ تميِّزه الطرافة والتشويق والإبداع والإمتاع، مع ما يمرِّره تضافرها من رسائل نقدية للوضع الاجتماعي للنائد إبَّاه عصر الهمذاني، وما يتميز بيه من تعقيدات وصراعات.

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 355.

2صيغة الحجج اللغوية في المـ ّقامة الحـ ّلوانية:

صيغة الحجج اللّغوية في المـ ّقامة الحـ ّلوانية، لبديع الزمان الهـ ّمذاني ليست مباشرة أو تقريرية بل تقوم على أساليب بلاغية متنوعة تكسب الخطاب طابعـ ًا حجاًجمقنعـ ًا وممتعاً في آنٍ واحد. ومن أهم الحجج ما يلي:[1]

2-1-الحجج المبنية على الاستشهاد والاستدلال:

- **فأتياني وقالا:لنا عندك شهادة فتجشّم.**
- **فقال الأول: أنا صاحب هذا الرأس لأنّي لطخت جبينه، ووضعت عليه طينه.**
- **وقال الثاني:بل أنا مالكه لأنّي دلكت حامله، وغمزت مفاصله.**

هذه الحجج تعتمد على الاستدلال على أدلة ووقائع قائع محدّدة لتدعيم المـ ّوقف مثل:

استشهاد كل من الرـ ّجلين بأفعاله (الطخ، الجبين، ذلك الحامل) كدليل على ملكية الرأس وكذلك استدلال صاحب الحمـ ّام على طلب الشّهادة من الرـ ّجلين كوسيلة للفصل بينهما.

2-2-**الحجج المبنية على التساؤل والاستفهام:**

-فقال الحمـ ّامي: أئتوني بصاحب الرأس أسأله، ألك هذا الرأس أم له؟

- **وقال: هل قضيت مناسكه كما وجب؟**

هذه الحـ ّجج تعتمد على طرح أسئلة واستفهامات للتشكيك في موقف الخصم أو إلزامه بالرـ ّد مثل سؤال صاحب الحمـ ّام ألك هذا الرأس أم له؟ فهنا لا يكون الاستفهام دقيقيا بل استفهام حجاجيحمل في طيـ ّاته عرضـ ًا مزدوجـ ًا، يبدو كأنه يبحث عن الحقيقة لكنه في العمق يسعى إلى إحراج الطرفين ودفعهما إلى تحديد موقف واضح.

فالسؤال هنـ ّا يفرض على كل واحد منهما أن يلتزم بإجابة قاطعة، وهو ما يكشف ضعف حججهما، لأنـ ّ أصل النـ ّزاع غير منطقيلهـ ّا سؤال صاحب الحمـ ّام عن قضاء

[1]- ينظرمحمد محي الدـ ّين، شرح مقامات بديع الزـ ّمان الهـ ّمذاني، تح، دار الكتب العـ ّلمية، بيروت، لبنان، ص 232.

مناسك الحـّج يمثل مستوى أعمق من الحـّجاج الاستفهامي، لأنه ينتقل من مجر ّد حسم النزاع إلى اختيار مصداقية الشخص، فالسؤال هنا لا علاقة له مباشرة بموضوع "الرأس" لكنه يطرح لكشف كذب المتكلم أو مبالغته. فالاستفهام في المقامة الحلوانيليس مجر ّد أداة لغوية، بل وهتقنية حـّجاجية فعالة تستخدم لإحراج الخـّصم، وكشف تناقصهوا ٍقناعه أو إقناع القارئ بضعف موقفه، ومن خلال هذه الأسئلة ينجح الهمذاني في الجمع بين الإقناع والامتناع حيث تتحول الحجة إلى موقف ساخر يثير الضحك ويكشف الحقيقة في آن واحد.[1]

2-3-الحجج المبنية على الافتراض والتخييل:

- **فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنت قد حلقت رأسك.**

هذه الحجج تعدّ من أدق الأساليب الحجاجية التي يوظّفها بديع الز ّمان الهمذاني لأنّها لا تعتمد على الوقائع المباشرة، بل على بناء فرضيات ذهنية تقود إلى نتيجة تضعف موقف الخصم وتقُنع المتلقي، فجاء في المثال السابق بـُنية شرطية قائمة على افتراض غير متدقق (لو كانت الاستطاعة قبل الفـّعل)، هذا الافتراض لا يقدم بوصفه حقيقة، بل كاحتمال ذهني يـُراد منه اختبار منطق الخصم، فالراوي ينطلق من فكرة نظرية، ثم يربطها بنتيجة عملية (حلق الرأس)ليـُبين أن دعوى الخصم غير سليمة.[2]

فالحـّجج المبنية على الافتراض والتخيل في المـّقامة الحلوانية تقوم على إنشاء عوالم ذهنية مفترضة تختبر فيها أقوال الخصوم، فإذا أدّت إلى نتائج غير معقولة، انكشف ضعفها.

وبذلك يجمع الهمذاني بين الحـّجاج العقلي والفكاهة الأدبية، فيجعل القارئ يقتنع ويستمتع في آنٍ واحد.

2-4-الحجج المبنية على التهديد والتخويف:

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 233.

[2]- ينظرمحي الدّين عبد الحميد، شرح مقامات بديع الز ّمان الهمذاني، مرجع سبق ذكره، ص 233.

- إلى لعنة الله وحر سقره.

هذه الحجة تستخدأسلوب التهديد والتخويف للتأثير في الخ ّصم والح ّمل. على التنازل، فلعنة الله تهديد باللجوء إلى قو ّ ة إلهية عليا لإنزال العقاب والنكال على الخصم، فاللّعنة هنا تمثل تحذير شديد وتهديد بالعذاب الأخروي.

أما حر سقره: هي إحدى أسماءجهنّ م في القرآن الكريم، فالتهديد "بحر سقر" يشير إلى التخويف من العذاب الأليم في الن ّار الأخروية.

فهذه الح ّجة تستخدم أسلوب الترهيب والتّخويف من العقاب الإلهي والعذاب الأبدي كوسيلة لإجبار الخصم على التنازل والاستلام. وهذا النوع من الحجج يعتمد على استثارة المشاعر والعواطف بدلا من الاستدلال العقلاني، بهدف التأثير على الخصم وحمله على قبول الموقف.[1]

المبحث الثالث: العوامل والروابط الحجاجية في المقامة الحلوانية:

1-العوامل الحجاجية في المقامة الحلوانية:

تعدّ العوامل الحِجاجية وسائل لغوية وأسلوبية تُسهم في بناء الحجاج وتقوية الإقناع داخل النص إذ يعتمد الكاتب على أدوات كالنفي والتوكيد والتدرج في عرض الأفكار لتوجيه المتلقي نحو نتائج محدّدة، وقد وظف الهمذاني العوامل داخل المقامة بأسلوب يجمع بين البلاغة والطرافة جعل الح ّجاج عنصر ً ا فاعلاً في إبراز المعاني وتحقيق التأثير في القارئ.[2]

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 234.

[2]- ينظر :كوثي المبخوت، اللّغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّ ادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية والفنون، تونس، ص 354.

المثال	العامل الحجاجي	الوظيفة الحجاجية
أذّي لطخت جبينه بضعتُ عليه طينه.	نّ (التعليل)	ديم السبب والرهان لتدعيم الرأي وا إقناع المخاطب بصحة الادعاء.
لكني دخلته ودخل على أثري رجل.	لكن (الاستدراك)	انتقال من معنى إلى معنى مخالف له، وا إبراز تحول في الأحداث بما يقوي البناء الحّ جاجي.
ثم خرج ودخل آخر عَمَد إلى رأسي يغسله.	ثم (العطف)	ترتيب الوقائع وتسلسلها، مما يجعل الحجة أكثر وضوحً ا وترابطًا.
لكني دلكًا يكد العظام ويغمرني رً ا يهد الأوصال	ّاو (العطف)	الجمع بين الأوصال للتكثيف المعنى وتقوية أثر حّ جة.
ألك هذا الرأس أم له؟	همزة استفهام	استدعاء الإقرار الحقيقة ودفع الخّ صمين نحو إثبات الدعوى بالحجة.
هذا رأسي قد صحبني في الطريق وطاف معي بالبيت العتيق.	لتوكيد	ثبيت الحّ جة وتقوية صدق الدعوى لإقناع لمخاطب بصحة القّول.
تلاكما حتّى عيّيا	حتّى	بيان بلوغ النتيجة أقصى درجاتها.
قل لي، اسكت يا فضولي، اذهب ننني بحجّ ام	الأمر	توجيه المتلقي والتحكم في مسار الحوار بما يخدم غاية المتكلم الإقناعية.
بل أنا مالكه لأني دامت حامله.	بل	الإضراب والانتقال إلى حجه أخرى أقوى.

تظهر العوامل الحجاجية في المقامة الحلوانية دورا بارزا في توجيه المعنى وتقوية الحجاج، إذ أسهمت في تحديد قوة لأقوال وتوجيه المتلقي نحو استنتاجات معينة تخدم مقصد المتكلم، وقد ساعد توظيف أدوات النفي والتوكيد والقصر ولاستثناء وغيرها من العوامل الحجاجية على تعزيز لإقناع وترتيب الحجج وفق رؤية حجاجية محكمة، مما أكسب النص تماسكا ودقة في عرض لأفكار، وأبرز مهارة الكاتب في استثمار الوسائل اللغوية لتحقيق التأثير ولإقناع.

2-الروابط الحجاجية في المقامة الحلوانية:

تعدّ الروابط الحجاجية من الوسائل اللغوية المهمّة في بناء الحجاج داخل المقامة الحلوانية لبديع الزمان الهمذاني، إذ تُسهم في ربط الأفكار وتنظيم الحجج وتوجيه القارئ نحو المعنى المقصود. وقد وظّف الهمذاني أدوات لإبراز العلاقات بين الأفكار وتقوية الجانب الإقناعي ممّا منح النص تماسكًا وحيوية وأثر حجاجيًا واضحًا.

المثال	الرابط الحجاجي	التحليل الحجّة	الوظيفية الحجاجية النتيجة
فلم نرى قوامه لكنّي دخلته.	لكن	جاءت لكن للاستدراك، إذا انتقل المتكلم من معنى إلى معنى مخالف له، فبعد عدم رؤية قراءة الحمام دخل إليه رغم ذلك.	- تصحيح المعنى السابق. -تقوية الحجّة الجديدة. -شد انتباه المتلقي إلى التحوّل في الكلام.
هل هذا الرأس حقي وملكي وفي يدي	بل	استعملت بل لإبطال كلام الحجام الأول وتعويضه بحجّة أقوى.	- نص حجّة الخصم. -الانتقال إلى حجّة أقوى. - تقوية موقف المتكلم.
أنا صاحب هذا الرأس لأنّي لطخت جبينه.	لأنّي	ربطت لأن بين الدعوى وسببها، فصار الإدعاء قائما على تعليل منطقي.	- تبرير الموقف. - إقناع المتلقي بالحجّة -بناء علاقة سببية بين القول والدّليل
فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنت قد حلقت راسك.	لو	جاءت لو لربط النتيجة بالشرط في إطار حجاجي ساخر.	- إلزام خصم منطقيًا. - تقوية البرّهان العقلي. - إحراج المخاطب بالحجّة
فعطف الثاني على الأول.	ف	جاءت الفاء للدلالة على النتيجة السريعة المترتبة عن الكلام السّابق	- الربط بين السبب والنتيجة. - تسريع الإيقاع الحجاجي. - إبراز تطور النزاع.

ثم عمد الى رأسي يغسله.	ثم	أفادت ثم الترتيب والتدرج في الأحداث.	- تنظيم الحجج والأحداث. -إبراز التدرج في الفعل الحجاجي. -تقويه وصف الحدث.

تكشف الروابط الحجاجية في المقامة الحلوانية عن دور أساسي في بناء الخطاب الحجاجي وتوجيه المتلقي نحو النتائج التي يسعى إليها المتكلم. فقد أسهمت روابط التعليل والاستدراك والشرط والنتيجة في تنظيم الحجج وترتيبها بصورة منطقية ومترابطة، مما عزز قوة الإقناع وأبرز براعة الكاتب في توظيف اللغة لخدمة المقصد الحجاجي. كما ساعدت هذه الروابط على تحقيق التماسك النصي وربط المقدمات بالنتائج، فجاءت المقامة بناء حجاجياً متدرجاً يجمع بين الإمتاع الأدبي والتأثير الإقناعي.

المبحث الرابع: آليات الحجاج اللغوي وأدواته:

1- **ألفاظ التعليل:** تستخدم هذه الألفاظ لربط الحجة بالنتيجة، وهي جوهر العملية الحجاجية وتستعمل لبيان السبب أو التبرير.[1]

1-1- **اللام التعليلة:** مثال 01: **لَأَنَخْتُ جَبِينَه**

- الأداة الحجاجية: لأن.
- وظيفيها الحجاجية: تستعمل لتقديم السبب والحجة التي يعتمد عليها المتكلم الإثبات أحقيته بالرأس، إذ حاول الحجام إقناع السامعين بانه صاحب الرأس لأنه هو الذي باشر العمل فيه وترك أثره عليه، فالتعليل هنا يؤدي وظيفة التبرير والإقناع.

مثال 02: **لأني دلكت حامله.**

- الأداة الحجاجية: لأن

[1]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط4، ج2، ص 232.

- وظيفيها الحجاجية: استعملت لتعليل ادعاء الحجام الثاني ملكية الرأس، حيث قدم سببا منطقيا يدعم موقفه أمام الخصم، وتتمثل وظيفتها الحجاجية في تدعيم الرأي بالحجة والتأثير في المتلقي لإقناعه بصحة الادعاء.

2-1- **الباء السببية:** مثال: **بمضمومة قعقت أنيابه.**

- الأدلة الحجاجية: حرف الجر الباء في كلمة بمضمومة.
- وظيفتها الحجاجية: تفيد الباء هنا السببية او الوسيلة، إذ يتبين المتكلم أن قعقعة الأنياب حدثت بسبب الضمة أو الحالة التي أصابته، وتتمثل وظيفتها الحجاجية في تفسير الحالة وتقوية الصورة الحجاجية من خلال ربط النتيجة بسببها، مما يزيد تأثير الكلام في المتلقي ويجعله أكثر إقناعا.

2- **الأفعال اللغوية:** وهي الأفعال التي لا نكتفي بنقل الحبربل تُ حدث تأثيرا في الواقع حتى الأمر والنهي، والتحدي والادعاء.[1]

2-1- **افعال الادعاء:** هي الأفعال التي يثبت بها المتكلم حقا أو ينسب أمرا إلى نفسه قصد الإقناع.

مثال01: **انا صاحب هذا الراس.**

- الفعل الدال على الادعاء: أنا صاحب.
- وظيفته الحجاجية: تأكيد امتلاك الرأس واقناع الحاضرين بأحقيته فيه.

مثال 02: **بل أنا مالكه.**

- الفعل الدال على الادعاء: أنا مالكه.
- وظيفته الحجاجية: نقض دعوى الخصم وتثبيت دعوى جديدة مضادة.

2-2- **افعال الأمر:** هي الأفعال التي تتضمن طلبلمباشر ا من المخاطب.

مثال 01: **إئتوني يصاحب الرأس.**

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص233.

- الفعل الدال على الأمر: إئتوني
- وظيفته الحجاجية: توجيه الحاضرين للبحث عن الحقيقة والفصل في النزاع.

مثال 02: **قل لي.**

- الفعل الدال على الأمر: قل.
- وظيفته الحجاجية، إلزام المخاطب بالإجابة وتقوية سلطة المتكلم في الحوار.

مثال 03: **اسكت يا فضولي.**

- الفعل الدال على الأمر: اسكت.
- وظيفته الحجاجية: يفيد الأمر هنا الزجر والإلزام، إذ يسعى المتكلم إلى فرض سلطته داخل الموقف الحجاجي، وضع الطرف الآخر من التدخل أو الاستمرار في الكلام.

2-3-أفعال النهي: هي الأفعال التي يطلب بها الكف عن الشيء.

مثال01: **لا تشهد بغير الحق.**

- أداة النهي: لا الناهية
- الفعل: تشهد.
- وظيفته الحجاجية: منع الكذب وتوجيهالحوار نحو الصدق والعدل.

مثال 02: **لا تقل غير الصدق.**

- أداة النهي: لا.
- الفعل: تقل
- وظيفته الحجاجية: يسعى المتكلم إلى منع المخاطب من قول أمر معين، قصد توجيه مسار الحوار أو منع كلام قد يضعف الحجة أو يؤثر في الإقناع، لذلك تتمثل وظيفتها الحجاجية في المنع والتوجيه والتحكم في مجرى الخطاب الحجاجي[1].

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص233 .

2-4-أفعال التحدي:

مثال 01: **قل لي: هذا الرأس يلأّ بهما.**

- فعل التحدي: قل.
- وظيفته الحجاجية: يحمل معنى التحدي لأن المتكلم يطالب المخاطب بإصدار حكم أو جواب يفصل النزاع، مما يعزز ثقته بحجته ويسعى إلى إحراج الخصموا إقناع المتلقي.

مثال 02: **أئتوني بصاحب الرأس لأسأله.**

- فعل التحدي: لأسأله.
- وظيفته الحجاجية: يدل على مواجهة ادعاءات الخصمين بالاحتكام إلى صاحب الرأس نفسه، فتكون وظيفته الحجاجية إثبات الحقيقة ودحض حجج الخصوم.

3- **الحجاج بالتبادل:** هو نمط حجاجي يقوم على تداول الكلام بين طرفين أو أكثر، حيث يتبادل المتحاورون الحجج والردود من أجل الإقناع أو دحض رأي الخصم[1].

مثال 01: **أنا صاحب هذا الرأس، لأني لطخت جبينه ورد الاخر: بل أنا مالكه لأني دلكت حامله.**

- وجه الحجاج بالتبادل: تبادل الدعوى والحجة بين الطرفين، فالأول يدعي ملكية الرأس ويعلل دعواه، والثاني يرد بحجة مضادة، مما يخلق بناءاً وحجاجيا قائما على الاخذ والرد.
- الوظيفة الحجاجية: إبراز الصراع الحجاجي وتقوية الإقناع عبر عرض حجج متقابلة.

مثال 02: **أنتوني بصاحب الرأس لأسأله.**

- وجه الحجاج بالتبادل: انتقال الحوار من تبادل الادعاءات إلى الاحتكام إلى شاهد يحسم الخلاف.

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2006، ص234.

- الوظيفة الحجاجية: البحث عن الحجة الأقوى للصول إلى الإقناع والحقيقة.

4- **اسم الفاعل:** هو اسم مشتق من الفعل المبني للمعلوم للدلالة على من قام بالفعل أو اتصف به.[1]

مثال 01: **أنا صاحب هذا الرأس.**

- اسم الفاعل: صاحب.
- التحليل: جاء اسم الفاعل "صاحب" ليؤكد معنى الامتلاك والاختصاص، وقد استعمله المتكلم لتقوية دعواه داخل الموقف الحجاجي، إذ تحاول إثبات أحقيته بالرأس أمام الخصم.

مثال 02: **لأني دلكت حامله.**

- اسم الفاعل: حامل.
- التحليل: جاء اسم الفاعل للدلالة على الفاعلية والحركة وربط الحجام حجته بالفعل الذي قام به، فاستعمل حامله لتقوية منطقةالإقناعي وا ٍثبات صلته بالرأس.

مثال 03: **بل أنا مالكه.**

- اسم الفاعل: مالك.
- التحليل: استعمل اسم الفاعل "مالك" لتقوية موقف المتكلم الحجاجي، إذ لم يكتف بمجرد الادعاء، بل عبر بصيغة توحي بالثبات والأحقية[2].

5- **اسم المفعول:** مواسم مشتق من الفعل المبني للمجهول للدلالة على من عليه الفعل.[3]

المثال 01: **فحيا أخدع الثاني بمضمومة قعقت أنيابه.**

- اسم المفعول: مضمومة.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص234.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص235.

[3]- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص236.

- التحليل: أسهم اسم المفعول في تصوير الحالة التي يعيشها صاحب الرأس، كما أضفى بعدا تصويريا على المشهد، مما يعزز التأثير في المتلقي.

الوظيفة الحجاجية: جاء اسم المفعول "مضمومة"، لتصوير شدة الفعل وقوة أثره، إذ لم يكتفي السارد بذكر الضرب أو الحركة، بل أبرز الأثر الواقع على المتلقي حتى "قعقت أنيابه"، مما يؤدي الصورة الحجاجية ويجعل المتلقي يقتنع بعنف الموقف وشدته.

مثال 02: **عطف الثاني على الأول مجموعة هتكت حجابه.**

- اسم المفعول: مجموعة
- التحليل: لفظ مجموعة يدل على أن شيئاً وقع عليه فعل الجمع أو الضم، أي إن الموضع صار مجتمعا أو مجموعا بعد الفعل الواقع عليه.
- الوظيفة الحجاجية: أسهم اسم المفعول مجموعة في بناء الحجاج من خلال إبراز الأثر الناتج عن الفعل، وتقوية التصوير الحجاجي، لأن وصف الحالة بـ"مجموعة" يجعل المتلقي يتخيل المشهد بصورة أوضح، وتعزير الإقناع والتأثير، إذ يسهم الوصف في دعم الحجاالسردية وا إبراز شدة الموقف.

المبحث الخامس: قوانين السلم الحجاجي:

تعد قوانين السلم الحجاجي من أهم الآليات التي تنظم سير الحجاج داخل الخطاب، إذ تحدد كيفية ترتيب الحجج وانتقالها من درجة إلى أخرى لتحقيق الاقناع، وتتجلى هذه القوانين من خلال توظيف التدرج الحجاجي وقانون النفي والقلب والخفض، مما أسهم في تقوية الحجج وتوجيه المتلقي نحو النتائج التي يسعى إليها المتكلم بأسلوب يجمع بين الامتاع والاقناع.

1-أمثلة قانون السلم الحجاجي التصاعدي:[1]

المثال 01: **وليكن الحمام واسع الرقعة، نظيف البقعة، طيب الهواء معتدل الماء.**

- التحليل:رتب الر اوي صفات الحمام ترتيبا تصاعديا، إذ بدأ بالسعة "واسع الرقعة"، ثم النظافة "نظيف البقعة "، ثم انتقل إلى الراحة الصحية "طيب الهواء"، ثم إلى أهم عنصر في الحمام وهو "اعتدال الماء."

فالحجج هنا ليست متساوية، بل تتدرج من صفات عامة إلى صفات أكثرتأثير ا في تحقيق الغرض. يتعين تحديد النتيجةمواصفات مثالية للحمـ ام المطلوب.

- الوظيفة الحجاجية:

- تقوية مطلب الراوي واقناع الغلام بحسن الاختيار،
- ترتيب الصفات بحسن أهميتها، ودفع المتلقي إلى الاقتناع بضرورة توفر هذه المواصفات.

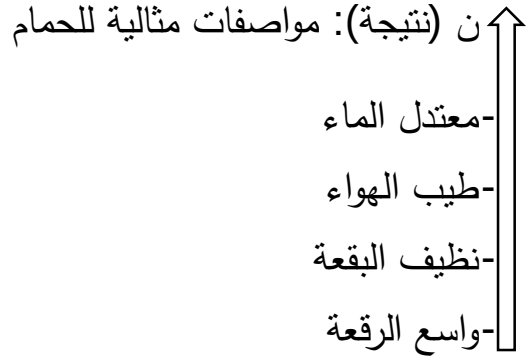

المثال 02: **وليكن الحجام خفيف اليد، حديد الموسى، نظيف الثياب، قليل الفضول.**

- التحليل: يصعد الراوي في بناء الحجة من الجانب المهني إلى الجانب الأخلاقي.

- خفيف اليد: صفة تتعلق بالراحة.
- حديد الموسى: تتعلق بالإتقان.
- نظيف الثياب: تتعلق بالنظافة.

[1]- ينظر: بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص237.

- قليل الفضول: تتعلق بالأدب وحسن السلوك.

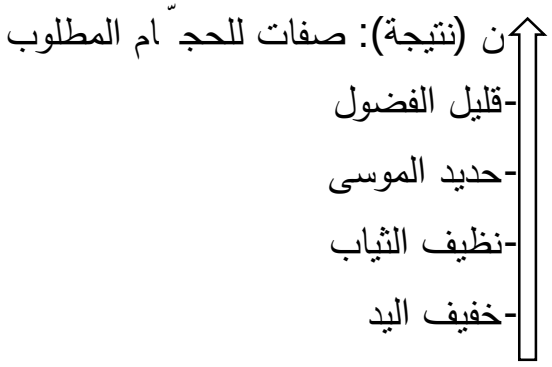

- الوظيفة الحجاجية:

- بناء صورة مثالية للحجام وتقوية الحجة عبر تراكم الصفات.
- التأثير في المتلقي واقناعه بأهمية هذه المعايير.
- تحقيق التصعيد الحجاجي من المادي إلى الأخلاقي.

المثال 03: **فخرج مليا، وعاد بطيا، وقال: قد اخترته كما رسمت.**

- التحليل: انتقل التدرج الحجاجي من مراحل الانجاز إلى تحقق المطلوب.

- خرج مليا: التأني.
- عاد بطيا: الدقة في البحث.
- قد اخترته كما رسمت: بلوغ النتيجة.

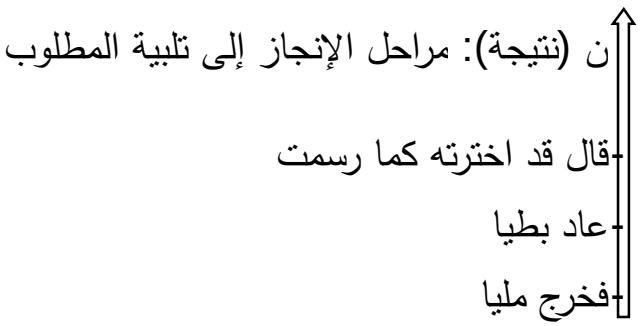

- الوظيفة الحجاجية:

- اظهار عناية الغلام في تنفيذ الأمر وتعيين مصداقية الاختيار.
- إقناع المتلقي بأن النتيجة جاءت بعد تحر ودقة.

المثال 04: **فجعل يدلكني دلكاً يكد العظام، ويغمزني غمزا يهد الأوصال.**

- التحليل:يصعِد الراوي الصورة الحجاجية ليبرز سوء فعل الحجام، وهنا يوجد سلّم حجاجي تصاعدي في وصف شدة الألم.

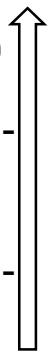

ن (نتيجة): شدة الألم والمعاناة من معاملة الحجام

-غمزا يهد الأوصال

-دلكا يكد العظام

- الوظيفة الحجاجية:

- المبالغة في تصوير المعاناة والتأثير العاطفي في المتلقي.
- تقوية حجةالراو ي ضد الحجام، وخلق بعد فكاهي ساخر داخل المقامة.

المثال 05: **انا صاحب هذا الرأس لأني لطخت جبينه، ووضعت عليه طينه.**

بل أنا مالكه لأني دلكت حامله، وغمزت مفاصله.

- التحليل: يتجلى السلم الحجاجي في تدرج الحجج بين الحجامين، فالحجام الأول بني حجته على فعل بسيط:

- لطخت جبينه.
- وضعت عليه طينه.[1]

ثم جاء الحجام الثاني بحجة أقوى وأشد تأثيرا.

- دلكت حامله.
- غمزت مفاصله.

فانتقلت الحجة من مجرد وضع الطين إلى التدليك والعناية الكاملة، وهو تصعيد حجاجي يراد به تقوية الدعوى واقناع السامع بأحقية المتكلم.

[1]- ينظر:المر جع السابق، ص 238.

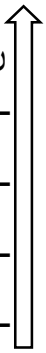

ن (نتيجة): ادعاء كل طرف أنه صاحب الرأس وأحق به
-غمزت مفاصله
-دلكت حامله
-وضعت عليه طينه
-لطخت جبينه

- الوظيفة الحجاجية:

- تقوية الحجة تدريجيا وموقف الخصم.
- التأثير في المتلقي وا ٍقناعه، وابراز المنافسة الحجاجية بين الشخصيات.

المثال 06: **ثم تلاكَ ما حتى عييا وتحاكما لما بقيا.**

- التحليل: يتدرج الحدث من تلاكما (بداية النزاع)، وعييا بلو غ التعب)، وتحاكما (اللجوء إلى القضاء). فهنا يوجد سلم حجاجي تصاعدي في تطور الصراع، إذا انتقل الخلاف من المشادة إلى الاحتكام.

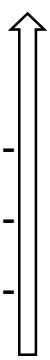

ن (نتيجة): اللجوء إلى التحاكم لحسم النزاع بعد عجز الطرفين عن الوصول إلى حل بأنفسهما.
-التحاكم وطلب الحكم
-التعب والاعياء
-التلاكم والخصام

- الوظيفة الحجاجية:

- تصعيد الحدث الحجاجي وبيان تطور النزاع تدريجيا.
- ابراز فشل القوة في حل الخلاف والانتقال إلى الحجة.

المثال 07: **يا رجل لا تقل غير الصدق، ولا تشهد بغير الحق.**

- التحليل: يتدرج الحمامي في توجيهه من: النهي عن الكذب والنهي عن شهادة الزور فانتقل من قيمة أخلاقية عامة إلى قيمة قضائية أكثر إلزاما[1].

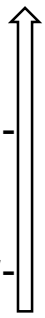

ن: الوصول إلى الحكم الصحيح وكشف الحقيقة

-لا تشهد بغير الحق

-لا تقل زورا

- الوظيفة الحجاجية:

- توجيه الشاهد اخلاقيا وضمان صدق الحجاج.
- تقوية سلطة الخطاب داخل الموقف الحجاجي.

المثال08**فحيّ ى أخدع الثاني بمضمومقعد ْقَعت أنيابه.**

- التحليل: يتصاعد الوصف الحجاجي في تصوير العنف: كحصول الضرب وتصوير أثره قعقعت أنيابه، فالراوي انتقل من الفعل إلى أثره الشديد، لزيادة التأثير.

ن: مبالغة في تصوير قوة الضربة وا ٍبراز أثرها

-قعقعة الأنياب

-حيا أخدع الثاني بمضمومة قوية

- الوظيفة الحجاجية:

- المبالغة في تصوير الحدث والتأثير العاطفي في المتلقي.
- تقوية الصورة الساخرة داخل المقامة والتي تشتق من سياق الحكاية ضمنيا.
- انتهائه وانقطاعه.

المثال 09: **واليوم والغد، والسبت والأحد.**

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 239.

- التحليل: رتب الراوي الزمن ترتيبا متدرجا، فانتقل من اليوم الحاضر إلى المستقبل القريب، ثم وسع المجال الزمني بذكر أيام الأسبوع، فالحجاج هنا قائم على التدرج الزمني التصاعدي لإبراز طول المعاناة واستمرارها.

- الوظيفة الحجاجية:

- تقوية المعنى بالتدرج والتأثير في المتلقي نفسيا.
- بيان استمرار الأمر وعدم انتهائه وانقطاعه.

المثال 10: **فبقيت متحيرا ... عن بيانه في هذيانه.**

- التحليل: انتقال الراوي من بيانه (الكلام المفهوم) الى هذيانه (الكلام المضطرب)، وهنا انتقال حجاجي تصاعدي يبين تفاقم اضطراب الحجام[1].

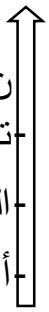

- الوظيفة الحجاجية:

- ابراز شدة الحيرة وتقوية الصورة الساخرة.

[1]- ينظر :المر جع السابق، ص239.

- التأثير في القارئ وا ٍثارة الانتباه.

وما زاد حجاجية الموقف هنا إلحاح الصورة البيانية المتمثلة في الاستعارة التهكمية في قوله (فحيا أخدع الثاني بمضمومة....) فالأخدع هو عرق يمتد على جانبي العنق، والمضمومة يقصد بها القبضة او اللكمة التي تقضي ضم أصابع اليد (الكف) والقعقعة هي صورة صوتية لشدة اللكمة وما نجم عنها من ألم جراء تصادم أسنانه، فاستعار التحية للكلمة القوية أي أنه لكمه لكمة قوية كأنه حيا عرق عنقه بها وهذا زيادة في طرافة الموقف وروح التندر والهزل.

المثال 11: **أنا أعطى الله عهدا، في النذر عقدا، ولو لقيت جهداً .**

بدأ عيسى بن هشام بالعهد، ثم شدّ ده بالنذر، ثم جعله دائما مدى الحياة، ثم زاده قوة بتحمل المشقة، وهذا سلم حجاجي تصاعدي.

- الوظيفة الحجاجية:

- توكيد القرار وتقوية الإقناع.
- ابراز شدة المعاناة والتأثير العاطفي في المتلقي.

اعتمد الهمذاني من خلال هذه الأمثلة على السلم الحجاجي التصاعدي من خلال تراكم الصفات والانتقال من الحجة الأضعف إلى الاقوى والتأثير النفسي والإقناعي، وتصعيد النزاع تدريجيا، مما أسهم هذا القانون في تقوية البنية الحجاجية للمقامةوا ٍبراز البعد الساخر والاقناعي فيها، وبناء خطاب حجاجي مؤثر يجمع بين الاقناع والتصوير الفني داخل المقامة الحلوانية.

2-امثلة قانون النفي والخفض والقلب.

2-1-قانون النفي.

مثال 01: **هذا الرأس ليس.**

- التحليل: استعمل المتكلم النفي بـ (ليس) لنفي قيمة الشيء المتنازع عليه، فانتقل من اعتبار الرأس سببا للنزاع إلى التقليل من أهميته.[1]
- الوظيفة الحجاجية:

- إضعاف الحجة المقابلة، والتقليل من أهمية موضوع النزاع.
- دفع الخصم إلى التراجع.

المثال 02: **وانّا لَمِ َ هذا الّيس.**

- التحليل: ورد النفي بـ (لم) لإنكار الفعل ونفي علاقته بما وقع، وهو نفي يستعمل لتبرئة النفس من الاتهام.
- الوظيفة الحجاجية:

- نفي المسؤولية وتقوية موقف المتكلم.
- إبعاد الشبهة عنه.

المثال 03: **فما شعرنا إلا بمد النيل.**

- التحليل: النفي بـ (ما) متبوعاً بـ (إلا) يفيد القصر، إذ حصر الشعور والانتباه في وقت معين.
- الوظيفة الحجاجية:

- تقوية المعنى وابراز عنصر المفاجأة.
- لفت انتباه المتلقي.

3- قانون الخفض:

مثال 01: **بهذا الرأس تسأل عن قليل خطره.**

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب القديمة للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2006، ص 240.

- التحليل: يعمد المتكلم إلى التقليل من قيمة الرأس ووصفه بأنه (قليل الخظر)، وهو حفض لقيمة القضية المتنازع عليها[1].

- الوظيفة الحجاجية:

- التقليل من أهمية الحجة المقابلة واضعاف الخصوم.
- توجيه السامع إلى أن النزاع غير مستحق.

4- قانون القلب:

المثال 01: **هذا رأسي قد صحبني في الطريق، ووافي معي البيت العتيق.**

- التحليل: أراد عيسى بن هشام إثبات ملكية للرأس بحجج تؤكد المصاحبة، لكن الحمامي قلب اتجاه الحجاج ولم يعترف بهذه الأدلة، فانتقل مركز الحجاج من الإثبات إلى التشكيك.

- الوظيفة الحجاجية:

- تحويلمجرى الحجاج وا ٍرباك الخصم.
- إعادة بناء الحجة بصورة تخدم المتكلم.

اعتمد الهمذاني على قوانين سلم حجابي متعددة كالنفي لإبطال الحجة والخفض للتقليل من قيمة القضية، والقلب لتحويل الحجة، وهذه القوانين أسهمت في بناء خطاب حجاجي يجمع بين الإقناع والتأثير والسخرية الفنية داخل المقامة الحلوانية.[2]

المبحث السادس: مبادئ السلم الحجاجي:

يعد السلم الحجاجي من الآليات التي تنظم بها الحجج داخل الخطاب وفق درجات متفاوتة من القوة والاقناع، حيث ترتب الأقوال بطريقة تقود المتلقي إلى نتيجة محددة، وتتجلى هذه المبادئ من خلال تدرج الشخصيات في عرض حججها، والانتقال من

[1]- ينظر: اوز فالد ديكرو، السلالم الحجاجية، منشورات ميوني، باريس، 1994، ص353.

[2]- المرجع نفسه، ص 354.

المعطيات البسيطة إلى الأدلة الأقوى، بما يخدم مقصد الاقناع ويعزز البعد الحجاجي للنص.

1- **مبدأ السلم الحجابي (التدرج الحجاجي):** يقوم على ترتيب الحجج من الأضعف إلى الأقوى أو العكس للوصول إلى نتيجة إقناعية[1].

مثال 01: **"واسع الرقعة"، "نظيف البقعة"، "طيب الهواء"، "معتدل الماء."**

- التحليل: رتب السارد صفات الحمام ترتيبا تصاعديا، فالصفات تتدرج حتى ترسم صورة متكاملة للمكان المثالي.
- الوظيفة الحجاجية: إضفاء طابع منطقي على الخطاب، واقناع المتلقي بضرورة الذهاب إلى الحمام والحجام.

مثال 02: **"خفيف اليد"، "حديد الموسى"، "نظيف الثياب"، "قليل الفضول".**

- التحليل:تدر جت الصفات من المهارة المهنية إلى الصفات السلوكية.
- الوظيفة الحجاجية: تقوية الحجة عبر الترتيب المنظم للصفات حتى يبلغ المتلقي درجة الإقتناع.

مثال 03: **"يدلكني دلكا يكد العظام، ويغمزني عمراً يهد الأوصال، ويصفر صفيرا يرش البراق".**

- التحليل: رتب السارد الأفعال ترتيبا تصاعديا، فبدأ بالدلك، ثم الغمز، ثم وصف الأثر المؤلم، فانتقل من فعل عادي إلى صورة أشد تأثيرا.
- الوظيفة الحجاجية: تضخيم المعاناة، والتأثير في المتلقي نفسيا وتقوية الحجة من خلال التدرج في الوصف.

مثال 04: **يا رجل لا تقل غير الصدق، ولا تشهد بغير الحق، وقل لي هذا الرأس لأيهما؟**

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 355.

- التحليل: بدأ الحمامي بطلب الصدق "لا تقل غير الصدق"، ثم ارتقى إلى مستوى أقوى وهو النهي عن شهادة الزور "ولا نشهد بغير الحق"، ثم انتقل إلى الغاية الأساسية وهي طلب التحكم النهائي، وقل لي هذا الرأس لأيهما"، وهنا نجد بناءا حجاجيا متدرجا.
- الصدق: مستوى أول.
- الحق في الشهادة: مستوى أقوى.
- الفصل في النزاع: النتيجة النهائية.

- الوظيفة الحجاجية: إعداد المخاطب نفسيا للوصول إلى الجواب الصحيح والتزامه بالحقيقة.[1]

مثال 05: **"وجدت بها ريسة على حالها وعلمت ان الأمر فضاء من الله وقدر"**

- التحليل: بدأ المتكلم بمعطى واقعي محسوس، و"جدت بها ريسة على حالها"، ثم انتقل الى انتاج فكري "وعلمت أن الأمر قضاء من الله وقدر"، فهنا يوجد انتقال حجاجي: ملاحظة الواقع والتأمل في الواقع والوصول إلى النتيجة.

- الوظيفة الحجاجية: إقناع المتلقي بالنتيجة عبر تقديم مقدمات تقود إليها.

2- **مبدأ التعليل:** يعتمد على تقديم سبب أو مبرر يدعم الفكرة.

مثال 01: **"أجد شعري طويلا، وقد اتسخ بدني قليلاً".**

- التحليل: لم يطلب السارد الذهاب إلى الحمام والحجام دون مبرر، بل قدم سببين منطقيين هما طول الشعر واتساخ البدن، فجاء الكلام قائما على التعليل الذي يدفع المتلقي إلى نقل الفعل وعدم استغرابه.
- الوظيفة الحجاجية: إضفاء طابع منطقي على الطلب وإقناع المتلقي بضرورة الذهاب إلى الحمام والحجام.

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 256.

مثال 02: "**أنا صاحب هذا الرأس لأني لطخت جبينه، ووضعت عليه طنيه**"

"**بل أنا مالكه لأني دلكت حامله، وغمرت مفاصله.**"

- التحليل: كل واحد من الرجلين لم يكتف بادعاء ملكية الرأس، بل قدم مبررات وأسبابا تدعم موقفه، فالأول اعتمد على كونه أول من باشر العمل، والثاني استند إلى ما قدمه من خدمة لصاحب الرأس.[1]
- الوظيفة الحجاجية: إضفاء الطابع المنطقي على الخطاب ومحاولة التأثير في الحكم وا إقناعه بصحة الدعوى، وبناء الحجة على السبب والنتيجة.

3- **مبدأ الوصف الحجاجي:** يقوم على استعمال الأوصاف والنعوت لدعم الفكرة وتقويتها.

مثال 01: "**واسع الرقعة، نظيف البقعة، طيب الهواء، معتدل الماء**".

- التحليل: الوصف هنا لا يؤدي وظيفة جمالية فقط، بل يحمل مقصداً حجاجيا، إذ يقدم أدلة تدعم رأي المتكلم حول مواصفات الحمام الجيد.

مثال 02: **خفيف اليد، حديد الموسى، نظيف الثياب، قليل الفضول.**

- التحليل: الأوصاف جاءت لإقناع المتلقي بأن الحجام الناجح ينبغي أن يتجلى بهذه الصفات.
- الوظيفة الحجاجية: تقديم براهين وصفية تدعم الرأي وتزيد من قوة التأثير.

مثال 03: **دلكا يكد العظام، ويغمزني غمزا يهد الأوصال.**

- التحليل: الوصف هنا ليس للزينة البلاغية فقط، وا إنما لبناء موقف إقناعي يبين شدة ما تعرض له السارد.
- الوظيفة الحجاجية: التأثير الوجداني، وجعل المتلقي يتصور المعاناة وتقوية الحجة بالتصوير.

[1]- ينظر: شكري المبخوت، اللغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص236.

4- **مبدأ التوكيد والتكرار:** يقوم على إعادة الألفاظ أو التراكيب لترسيخ المعنى.

مثال 01: **وليكن الحمام واسع الرقعة.**

وليكن الحجام خفيف اليد.

- التحليل: أعاد السارد الصيغة نفسها، مما أبرز اهتمامه الشديد بالمواصفات المطلوبة.
- الوظيفة الحجاجية: ترسيخ المعنى وتقوية الحجة في ذهن المتلقي.

مثال 08: **انا صاحب هذا الرأس.**

بل أنا مالكه.

- التحليل: تكرار فكرة الملكية يعكس اصرار كل طرف على موقفه، فهنا تم استعمال التكرار بالرادف (صاحب= مالك) وبصيغة اسم الفاعل.
- الوظيفة الحجاجية: ترسيخ الفكرة، وتأكيد الدعوى، وزيادة قوة التأثير.

5- **التصعيد الحجاجي:** هو عرض الحجج والأفكار من الأضعف إلى الأقوى، بهدف التأثير فيالمتلقي وا ٍقناعه تدر يجي[1].

مثال 01: " **إلى كم هذه المنافسة مع الناس بهذا الرأس، تسل عن قليل خطره، إلى لعنة اللهوحر سقره".**

- التحليل: انتقل الحمامي من التقليل من قيمة الرأس (قليل خطره) إلى نتيجة أشد وأقوى لعنة الله، ثم إلى مستوى أعلى من الترهيب (حر سقره)، فالسلم الحجاجي هنا تصاعدي، أي أن الشيء قليل القيمة التنازع عليه مذموم يؤدي إلى اللعنة ويؤدي إلى العذاب.
- الوظيفة الحجاجية: تقوية التأثير الإقناعي عبر التدرج من التنبيه البسيط إلى التخويف الشديد.

مثال 02: **إلى متى هذا الضجر، واليوم وغد والسبت والأحد؟**

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 237.

- التحليل: تدرج الخطاب من الإشارة إلى الضجر بوصفه حالة نفسية إلى توسيع زمن المعاناة، كاليوم و غد والسبت والأحد، فالحجة تصعد تدريجيا لتصوير استمرار الضيق.
- الوظيفة الحجاجية: تقوية التأثير النفسي وابراز امتداد المعاناة.

6-مبدأ الانتقال من الحجة العقلية إلى الحجة الانفعالية:

مثال 01: **"وهب أن هذا الرأس ليس"**، ثم انتقل إلى السخرية **"وأنا لم نر هذا لّ يس"**

- التحليل: انتقل من الإقناع العقلي إلى التأثير النفسي والانفعالي.
- الوظيفة الحجاجية: زيادة قوة التأثير باستعمال العقل والعاطفة معا.

وهذا الموقف حجاجي يتضمن موقف الفكاهة والطرافة أيضا، تجلت الحجة الانفعالية (الرأس ليس) و (أنا لم نر هدا) والتيس هو ذكر الماعز الذي غالباً ما يثير السخرية.

مثال 02: **فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل، لكنت قد حلقت راسك.**

- التحليل: يعتمد المتكلم على بناء منطقي في صيغة نحوية شرطية، بحيث تضمنت جملة الشرط الفرضية، وتضمنت جملة جواب الشرط النتيجة.
  - فرضية: فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل.
  - النتيجة: لكنت قد حلقت راسك.
  - السلم الحجاجي هنا: الافتراض والاستدلال والنتيجة.
- الوظيفة الحجاجية: إقناع المخاطب باستعمال المنطق العقلي.

7- **مبدأ الربط الحجاجي:** هو اسلوب يستخدم لربط الحجج والادلة بشكل منطقي لدعم فكرة اور أي معين.

مثال: **فخرج مليا، وعاد بطيا، وقال اخترته كما رسمت، فأخذنا إلى الحمـ ـامالسـ ـمت.**

- التحليل:حرف الفاء يدل على التعقيب والترتيب، فتر ابطت الأحداث بصورة منطقية متسلسلة.

- الوظيفة الحجاجية: إضفاء الانسجام والترابط على الخطاب بما يزيد من قوته الإقناعية.

8- مبدأ الترتيب المنطقي للأفكار.

مثال: **" أجد شعري طويلاً": المشكلة.**

" اختر لنا حماما": الحل.

" وخرج مليلاً": التنفيذ.

"وعمد إلى قطعة طين": النتيجة.

- الوظيفة الحجاجية: إعطاء الخطاب بناءا منطقيا يجعل المتلقي أكثر قابلية للاقتناع[1].

9-مبدأ التدرج النفسي.

مثال: **فبقيت متحيرا.**

خشيت أن يطول مجلسه.

فقلت إلى غد إن شاء الله.

- التحليل: تتدرج الحالة النفسية: الحيرة والخشية واتخاذ القرار.
- الوظيفة الحجاجية: ابراز تطور الموقف النفسي لإقناع المتلقي بوجاهة تصرف السارد

10- مبدأ التدرج في تصوير الحالة النفسية:

مثال: **فقمت من ذلك المكان خجلاً، ولبست الثياب وجلا، وانسللت من لدّ مام عجلا.**

- التحليل: تدرج السارد في وصف حالته.

- خجلا: شعور نفسي حيال عدم انسجام وجداني مع موقف خارجي موضوعي.
- وجلا: خوف واضطراب بسبب عدم القدرة على مواجهة الموقف.
- عجلا: نتيجة نفسية ظهرت في السلوك.

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 238.

السلم الحجاجي هنا انتقل من الإحساس الداخلي إلى الفعل الخارجي.

- الوظيفة الحجاجية: تعميق أثر التجربة في نفس المتلقي.

المبحث السابع: المحسنات البديعية في المقامة الحلوانية:

تعد المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية من أبرز السمات الفنية في المقامة الحلوانية، إذ اعتمد عليها بديع الزمان الهمذاني لإضفاء الجمال والانسجام على خطابه. فقد وظف المحسنات اللفظيةوالمعنوية لتقوية المعاني وا ٍبراز البعد الحجاجي، وجعل أثر تأثير ا وا ٍقناعا للمتلقي.

المثال	نوع المحسن	التحليل البديعي	الوظيفة الحجاجية
المحسنات البديعية اللفظية			
ا قفلتُ من الحـّج فيمن قَفَل، نزلت، حلوان مع من لَ .	السجع	جاء الكلام في جملتين متقاربتين في البناء والتركيب، وانهت الفصلتان بـ: ذَ زَ (لَ)، مما أحدث ايقاعاً موسيقيا.	أسهم السجع في جذب انتباه المتلقي وتثبيت الفكرة في ذهنه، كما عزز مصداقية السرد، إذ المتكلم نفسه في سياق جماعي يوحي بصدق الحكاية.
واسع الرقعة، تنظيف البقعة.		يظهر السجع بين (لرقعة و البقعة) لتقارب اللفظين واختلافهما في حرف واحد، كما يوجد توافق صوتي أحدث إيقاعا موسيقيا لطيفا.	أسهم المحسن البديعي في ابراز صفات المكان بصورة مؤثرة، مما يجعل المتلقي أكثر إقتناعا بجمال المكان وحسنه.
طيب الهواء معتدل الماء		اعتمد الكاتب على توافق الفاصلتين في النغمة الصوتية، مما أوجد انسجاما موسيقيا يعزز جمال التعبير	أدى السجع دورا في تقوية الوصف وتأكيد مزايا المكان وهو ما يخدم مقصد الاقناع والتأثير.
خفيف اليد، حديد الموسى نظيف الثياب، قليل الفضول.		قامت العبارات على نسق تركيبي متشابه، مما أوجد تناسقا لفظيا وا ٍيقاعا متوازنا، وتتابع الصفات أعطى صورة متكاملة للشخصية الموصوفة.	أسهم تعداد الصفات في بناء صورة ذهنية دقيقة، مما يدعم الحجاج بالإقناع والتأثير.
خرج مليا وعاد		تحقق الانسجام اللفظي بين (مليا)	عزز المحسن البديعي التأثير في

بطيا		و(بطيا) مما أضفى على العبارة جرسا موسيقا.	المتلقي، وأسهم في ترسيخ الحدث وتصوير الحالة بطريقة أكثر إقناعا.
اشتعلت فيه المصابيح، وأقيمت التراويح.		سجع مطرف، إذ اتفقت الكلمتان في الحرف الأخير واختلاف الوزن.	إحداث جرس موسيقي يجذب انتباه المتلقي ويقوي التأثير الاقناعي عند تصوير أجواء شهر رمضان
حماما ندخله وحجاما نستعمله.	جناس ناقص	التشابه الصوتي بين (حماما وحجاماً) مع اختلاف المعنى، فالحمام مكان الاغتسال، والحجام صاحب المهنة.	براز ترابط عناصر المشهد، تحقيق إيقاع موسيقي، جذب انتباه القارئ إلى حاجات الراوي قبل دخول الحمام.
يغمزني غمزا		جناس اشتقاق لأن الكلمتين من أصل لغوي واغمَز(زَ) واختلفتا في الصيغة الصرفية	يقوي المعنى ويؤكد فعل الغمز، مما يساهم في تصوير شدة الموقف وإقناع المتلقي بحقيقة المعاناة التي عاشها السارد.
فسله وإلى الماء يرسله		جناس ناقص لاختلاف الحرف الأول (غ) ار) مع وجود تقارب صوتي.	بحقق إيقاعاً موسيقيا يدعم ترابط الأحداث، ويسهم في شد انتباه المتلقي.
قمت من ذلك المكان خجلا، ولبست الثياب وجلا.		اختلاف الحرف الأول (خ/و) مع تقارب البنية الصوتية.	إبراز الحالة النفسية للسارد بعد الموقف المحرج، وتقوية الأثر الإقناعي بإظهار شدة الاضطراب.
فجاءني برجل لطيف البنية، مليح الحلية.		جناس ناقص، لتقارب الصياغة الصوتية مع اختلاف بعض الحروف.	اضفاء نغمة إيقاعية تجعل وصف الحجام أكثر تأثيرا إقناعا.
ما هذا القال والقيل	جناس اشتقاق	جناس اشتقاق، لاشتراك الكلمتين في الأصل اللغوي (ق.و.ل)	توكيد المعنى وإحداث إيقاع صوتي يعزز التأثير الإيقاعي.

واسع الرقعة نظيف البقعة، طيب الهواء معتدل الماء.		قسمت صفات الحمام إلى عبارات متوازنة في البناء والتركيب، فجاءت الألفاظ متناسقة إيقاعيا ومتقاربة في الطول، مما أحدث جرسا موسيقيا وانسجاما لفظيا.	أدى حسن التقسيم وظيفة حجاجية تتمثل في تقوية الحجة وتدعيم صورة الحمام المثالي الذي يريده المتكلم، فاقتنع المتلقي بضرورة توفر الصفات المجتمعة، كما عزز أثر الوصف في النفس.
يدلك العظام ويغمرني غمرا		يتجلى حسن التقسيم في تعاقب الأفعال والصور الوصفية في بناء متوازٍ، مما أوجد إيقاعا متناسقا وأكسب العبارة قوة تصويرية.	أسهم إبراز شدة المعاناة داخل الحمام وتصعيد الموقف الحجاجي، حتى يقتنع المتلقي بسوء ما تعرض له السارد
لا تقل غير الصدق، ولا تشهد بغير الحق		يتجلى حسن التقسيم في توازي العبارتين من حيث التركيب النحوي والايقاع اللفظي، إذ جاءت الجملتان متقاربتان في الطول والبناء مع وجود تناظر بين "لا تقل" و "لا تشهد" وبين "الصدق" و "الحق" مما أضفى انسجاما موسيقيا وقوة تعبيرية.	أسهم حسن التقسيم في توكيد قيمة الصدق والحق وتقوية الحجة القائمة على ضرورة الشهادة الصحيحة، مما يعزز الاقناع ويؤثر في المتلقي.
صحبني في الطريق، وطاف معي بالبيت العتيق.		جاء حسن التقسيم في توازن العبارتين من حيث الصياغة والتركيب، حيث انتظم الكلام في نسق متواز أحدث أيقاعا لفظيا جميلا.	جاء لتأكيد حجة المتكلم واثبات ملكية لرأسه، من خلال عرض أدلة متتابعة تقوي موقفه الحجاجي.
قمت من ذلك المكان خجلا، ولبست الثياب وجلا، وانسللت من الحمام عجلا.	حسن التقسيم	ظهر حسن التقسيم من خلال تعاقب الجمل القصيرة المتوازنة والمتشابهة في الوزن والإيقاع، مما أوجد تناغما صوتيا واضحا	أسهم في تصوير الحالة النفسية للسارد وابراز شدة ارتباكه و انفعاله، مما يجعل المتلقي أكثر اقتناعاً بحجم الموقف الذي تعرض له.

اليوم وغد والسبت والأحد.		تجلى حسن التقسيم في تعداد الألفاظ ضمن نسق متدرج ومتوازن يحقق جرسا موسيقيا وانتظاما إيقاعيا.	أفاد التطويل والتأكيد على امتداد الزمن، وتقوية المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي[1]
المحسنات البديعية المعنوية			
خرج مليا وعاد بطيا	طباق الإيجاب	لأن اللفظين متضادان في المعنى، فالخروج يقابل العودة	يبرز حركة الغلام ويقوي تسلسل الأحداث، مما يجعل السرد أكثر إقناعاً ووضوحا.
تم أخرج ودخل آخر		لأنه جمع بين فعلين متضادين.	يوضح تعاقب الأحداث ويقوي التصوير السردي، مما يخدم بناء الحجة القصصية.
الك هذا الرأس أم له؟		طباق ايجاب لأنه يقابل بين الملكية للمتكلم والملكية للغير	يبرز محور النزاع ويقوي البعد الحجاجي القائم على البحث عن الحقيقة.
اليوم وغد		طباق الإيجاب لان اللفظين متضادان دلاليا فاليوم يدل على الزمن الحاضر والغد يدل على الزمن المستقبل.	براز امتداد الزمن واستغراق المتكلم في الحديث، مما يقوي تصوير حالة الطالة والهذيان التي أراد السارد اقناع القارئ بها.

[1]- ينظر: مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، د تح، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص354-357.

أنا صاحب هذا الرأس، لأني لطخت جبينه ووضعت عليه طينه، وقال الثاني بل أنا مالكه لأني دلكت حامله وغمرت مفاصله.	المقابلة	جاءت المقابلة بين حجتي الشخصين المتنازعين، فالأول ثبت ملكية الرأس بحجة (لطخت جبينه/ وضعت عليه طينة)، والثاني يقابل ذلك الحجة (دلكت حامله/ غمرت مفاصله) فالكلام بني على عرض حجتين متقابلين ومتعارضتين مما أبرز التناقض بين إدعاء الطرفين.	تقوية البنية الحجاجية للنص من خلال عرضه الرأيين المتعارضين وابراز التناقض بين المتخاصمين واظهار طرافة الموقف.
إئتوني بصاحب الرأس	التورية	اعتمد عيسى بن هشام على لفظ ذي دلالتين، فأوهم السامع أولا بمعنى قريب، ثم يتبين من السياق أن المقصود معنى آخر أبعد مما أحدث طرافة فنية وانسجم مع أسلوب المقامة القائم على الإيهام والتلاعب اللفظي.	تقوية البنية الحجاجية عبر إثارة انتباه المتلقي وتحفيزه على التأويل، وابراز عبث الخصومة وسخرية الموقف بين المتنازعين، واضفاء طابع فكاهي يخدم مقصد الإقناع والتأثير في المتلقي.
أحببت أن تعلم أن المبرد في النّحو حديد الموسى.		وقعت التورية في الفظ (المبرد)، إذ يحمل معنيين المعنى القريب غير المراد: المبرد الذي يحد به الحديد ويستعمل مع الموسى (آلة الحلاقة)، وا ٍبتلاءم مع سياق الحمام والحلاقة، والمعنى البعيد المراد: المبرد: أي العالم النحوي أبو العباس وقد ورد في سياق الحديث عن النحو المبرد في النحو.	ذب انتباه المتلقي وا ٍثارة تفكيره للبحث عن المعنى المقصود، وتقوية التأثير الاقناعي عبر توظيف اللعب الدلالي وابراز الطابع الفكاهي والساخر في المقامة، وا ٍظهار براعة الكاتب اللغوية بما يدعم البناء الحجاجي ويزيد تأثير الخطاب في المتلقي .

يدلكني دلكا يكد العظام.	المبالغة	بالغ عيسى بن هشام في وصف شدة التدليك والغمز داخل الحمام فعبارة (يكد العظام) توحي بأن الدلك بلغ من قوة حد اتعاب العظام، وعبارة (يهد الأول) تصور شدة الغمز كأنه يفتت المفاصل ويهدمها، وهو أمر غير مقصود على الحقيقة جاء لتقوية المعنى.	تقوية الحجة بإبراز معاناة السارد داخل الحمام والتأثير في المتلقي وا إثارة إحساسه بشدة الموقف واضفاء طابع فكاهي ساخر ينسجم مع طبيعة المقامة وجعل الصورة أكثر قوة وا إقناعا، مما يدعم البناء الحجاجي للنص
فحيا أخدع الثاني بمضمومة قعقعت أنيابه.		بالغ عيسى بن ابن هشام في تصوير شدة الضربة التي تلقاها الرجل حتى جعل أنيابه تقعقع، والمقصود ليس المعنى الحقيقي، وا إنما المبالغة في تصوير فوة الضربة وشدة الخصومة.	تقوية تصوير النزاع بين الشخصيتين والتأثير في المتلقي وجعله يستشعر حدة الصراع، وابراز الطابع الساخر والتصويري في المقامة
عطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابه.		بالغ الكاتب في وصف شدة العضة، فصورها كأنها مزقت الحجاب او شقت الجلد وهو تعبير يقصد به تعظيم أثر العضة وابراز عنف الخصومة بين المتنازعين، لا المعنى الحقيقي الحرفي.	براز شدة النزاع والصراع بين الشخصيتين، وتقوية التأثير في المتلقي بتصوير الموقف تصويرا قويا، وا إضفاء طابع ساخر ومبالغ فيه ينسجم مع أسلوب المقامة.

سببت الغلام بالعضّ والمصّ ، ودققته دق الجصّ .		بالغ الكاتب في تصوير شدة غضبه من الغلام فشبه شدة قربه له بدق الجص، وهذا ليس معنى حقيقيا، بل يقصد منه تضخيم الفعل وإبراز شدة الانفعال والغضب، وعبارة (بالعض والمص) تسهم في تقوية الصورة الانفعالية.	تقوية المعنى وابراز شدة غضب السار، والتأثير في المتلقي وجعله يتصور حدة الموقف، وإضفاء طابع تصويري ساخر ينسجم مع اسلوب المقامة، ودعم البناء الحجاجي للنص بتضخيم الحدث، مما يزيد أثره في نفس المتلقي[1].

استنتاج:

يتضح من خلال تحليل المحسنات البديعية في المقامة الحلوانية أن قيمتها لا تقتصر على الجانب الجمالي، بل تتجاوز ذلك إلى أداء وظيفة حجاجية تسهم في بناء الخطاب وتقوية أثره في المتلقي، فقد وظف بديع الزمان الهمذاني السجع والجناس وحسن التقسيم إضفاء الإيقاع والتناغم على النص، مما يجعل الأفكار أكثر حضوراً في الذهن واشد تأثير في المتلقي.

وقد أسهمت المحسنات المعنوية كالطباق والمقابلة والتورية والمبالغة، في إبراز المعاني وتوضيحها وتقويتها، فالأطباق والمقابلة كشفا عن التباين بين المواقف والأفكار، والتورية أتاحت توسيع الدلالة إثراء المعنى، في حين عملت المبالغة على تضخيم الصور والأحداث بما يخدم مقصد الإقناع والتأثير.

ومن ثم فإن المحسنات لم تكن عناصر زخرفية معزولة، بل كانت وسائل بلاغية وحجاجية متكاملة أسهمت في تدعيم الحجج وتوجيه المتلقي نحو النتائج التي أرادها، وهو ما يؤكد التلاحم بين البعد الجمالي والبعد الحجاجي في فن المقامات عامة والمقامة الحلوانية خاصة.

[1]- ينظر: بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 340-342.

الخاتمة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة الموسومة بـ "حجاجية المحسنات البديعية في فن المقامات"، يتضح ان المحسنات البديعية لم تعد مجرد وسائل فنية تعنى بتجميل الخطاب وتحسينه، بل تعدت لتؤدي وظائف حجاجية وا إقناعية فاعلة، وقد كشفت هذه الدراسة عن الدور البارز الذي تؤديه المحسنات البديعية في بناء الحجة وتقوية المعنى وتوجه المتلقي، مما يولد تداخل البعدين الجمالي الحجاجي داخل الخطاب المقامي، ويبرز قيمة المقامات العربية بوصفها نصوصاً أدبية غنية بالآليات البلاغية والتداولية.

- أثبتت الدراسة أن فن المقامة من أكثر الفنون النثرية العربية قدرة على الجمع بين المتعة الفنية والغاية الإقناعية، وأنها تقوم على تداخل السرد والحوار والوصف، مما يمنحها بنية فنية وحجاجية متكاملة.
- يعد فن المقامات من أبرز الفنون النثرية في الأدب العربي لما يتميز به من ثراء لغوي وبلاغي يجمع بين الإمتاع والفائدة.
- أسهمت المقامات في ابراز دقة الأدباء على توظيف اللغة العربية توظيفا فنيا يعكس مهاراتهم البلاغية والأسلوبية.
- أظهرت المقامات دور الحيلة والذكاء والفصاحة في بناء الأحداث وتوجيه مسار الخطاب.
- أبرزت المقامة العلاقة الوثيقة بين البلاغة والحجاج، حيث توظف الوسائل البلاغية لخدمة اغراض إقناعية وتداولية.
- كشفت الدراسة أن المحسنات البديعية ليست مجرد وسائل للزينة اللفظية فقط، بل تؤدي وظائف حجاجية تسهم في بناء المعنى وتقوية الحجة.

خاتمة:

- اظهر التحليل أن السجع والجناس وحسن التقسيم أسهم في تحقيق الانسجام الموسيقي للنص وتعزيز تأثيره في المتلقي.
- أكدت الدراسة أن بديع الزمان الهمذاني وظف المحسنات البديعة توظيفا واعيا يخدم مقاصده الحجاجية والفنية.
- كشفت المقامة الحلوانية عن حضور واضح للآليات الحجاجية التي تعمل على استمالة المتلقي والتأثير في مواقعه والإمتاع معاً .
- اثبت التحليل أن البلاغة والحجاج عنصران متكاملان في بناء المقامة بحيث يخدم كل منهما الآخر لتحقيق الإقناع والإمتاع معا.
- اظهرت الدراسة أن المقامة تعكس جوانب من الواقع الاجتماعي والثقافي وتوظف السخرية والفكاهة والنقد من أجل إيصال رسائله وافكارها.
- خلصت الدراسة أن المحسنات البديعية تشكل وسيلة فعالة في بناء الخطاب الأدبي والحجاجي، إذ تحقق التوازن بين جمال التعبير وقوة الإقناع مما يجعلها من أهم أدوات التأثير في المتلقي.
- يعتمد الحجاج اللغوي على مجموعة من الوسائل والأساليب التي تهدف إلى الإقناع من بينها التوكيد والتعليل والروابط الحجاجية والتدرج في عرض الحجج.
- اكدت الدراسة أن المقامة الحلوانية تجمع بين الوظيفة الجمالية والوظيفة الحجاجية، مما يجعلها نموذجا بارزا لتكامل البلاغة والحجاج في الأدب العربي.
- تؤكد الدراسة أن البعد الحجاجي للمحسنات البديعية تمثل جانبا مهما من جوانب البلاغة العربية، وان المقامة الحلوانية تقدم نموذجاً دالا على تداخل الجمالي والتداولي في الخطاب الأدبي، ومن ثم تبقى المقامات مجالا خصبا للدراسات البلاغية والحجاجية، بما تتيحه من إمكانيات واسعة للكشف عن آليات التأثير والإقناع في التراث العربي.

- توصي الدراسة بتوسيع الدراسات التطبيقية التي تجمع بين البلاغة العربية القديمة ونظريات الحجاج الحديثة، للكشف عن الأبعاد الإقناعية في التراث العربي، وتشجيع الباحثين على دراسة مقامات أخرى لبديع الزمان الهمذاني من منظور حجاجي مقارن لإبراز أوجه التشابه والاختلاف في توظيف المحسنات البديعية وآليات الإقناع، والإفادة من المناهج التداولية والحجاجية الحديثة في تحليل النصوص الأدبية التراثية لما توفره من أدوات إجرائية تسهم في تعميق الغهم النقدي للنص.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

أ- المعاجم:

- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، د.تح، دار صادر، بيروت، لبنان.

ب- الكتب:

- أبو العدوس يوسف مسلم، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني -علم البيان- علم البديع، د. تح، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1427هـ/2007م.
- أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، رسائل بديع الزمان الهمذاني، تح: د. إحسان ذنون الثامري، دار الذخائر، القاهرة: المكتبة العمرية 2021، ط1، 1439هـ-2018م.
- أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2005م، 1426هـ.
- أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر، الكويت، المجلد 30، 2001.
- أمين أحمد، ظهر الإسلام، د.ت، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1973م، ج4.
- الأمين حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، مج 6.
- بسام الشريني أبي الحسن علي، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: د.إحسان عباس، دار الثقافة بيروت - لبنان، د. ط، ج 4.

- الثعالبي أبي منصور عبد ملك بن محمّد بن إسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م، ج4.
- الثعالبي النيسابوري أبو منصور عبد الملك، يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج 4.
- الثعالبي النيسابوري أبي منصور عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـ - 1983 م، ج 4.
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج1، 1998.
- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 2، ج 3، 2003، 1424 هـ،
- الجاحظ عمر بن بحر أبو عثمان، العثمانية، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ج1، ط 1، 1991 م.
- الجارم علي وأمين مصطفى، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية، د.تح، دار المعارف – القاهرة.
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تح: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م.
- جويلي صابر، علم البديع نقطة ارتكاز، د. تح، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، 1437هـ/2017م.
- حافظ اسماعيلي العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، د.ت، عالم الكتب الحديث، اربد - الأردن، ط1، 1431هـ/2010م، ج3.

- الحباشة صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2008.
- حسن عباس، النحو الوافي، د.تح، دار المعارف، مصر، ج 3.
- الحموي ياقوت الرومي، معجم الأدباء، تح: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ج 1.
- خلدون عبد الرحمن، المقدمة، د.تح، دار الجيل، بيروت.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء، ط1، 1413هـ/1993م.
- خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تح: د.إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ج 1.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، ط 1، 1367هـ/ 1948 م.
- خليفة علي محمد السيد، دراسات في فنون النثر العربي القديم، د.ت، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2013.
- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس (تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين)، د.تح: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج1، ط7، 1986.
- الذهبي الإمام، العبر في خَبَر مَنْ غَبَر، تح: بن بسيوني زغلول أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 2.
- الراضي رشيد، الحجاج والبرهان، الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ اسماعيلي علوي، ج 1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.

- الراميني فواز بن فتح الله، البلسم الشافي في علوم البلاغة: البلاغة والمعاني والبديع، د.تح، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، العين، ط1، 1430هـ/2009م.
- رشيق القيرواني أبو على الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهـ ّلال، ج 1.
- الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ت، مادة حجج، ج 5.
- الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج 1، ط 1، 1419 هـ/ 1998 م.
- السرتي زكرياء ، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ط1، 2014م.
- السعافين إبراهيم، أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1997.
- السـ ّكاكي أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي ، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.
- سلامة علي محمد، الأدب العربي في الأندلس، الدار العربية للموسوعات بيروت، لبنان، ط 1، 1989.
- سليمان موسى، الأدب القصصي عند العرب، د.ت، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط4، 1969م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون مكتبة الغانجي، القاهرة، ج 1، ط 3، 1408 هـ/ 1988 م.

- ابن سيدة أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص، د ت، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج 2، ط 1، 1420 هـ/ 1999 م.
- السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، د. تح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
- الشكعة مصطفى، بديع الزمان الهمذاني، د.تح، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م.
- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: د.بشار غوار معروف، مجلد 01.
- شوقي ضيف / فن المقامة، د ث، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1990م.
- شوقي ضيف، المقامة تاريخ الأدب العربي، د.ت، دار المعارف، القاهرة، ط 3.
- شوقي ضيف، فن القصّة، دار المعارف- القاهرة، د.ط.
- الصحاح، الجوهري، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407 هـ/ 1987 م، ج 5، مادة (قوم).
- صفوت أحمد زكي، جمهرة قطب العرب، د.تح، المكتبة العلمية، بيروت، 1357هـ، ج1.
- صفوت أحمد زكيا، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، د.تح، المكتبة العلمية، بيروت، 1357هـ، ج1.
- صمود حمادي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج.
- صولة عبد الله، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، د.ت.

- طارق مسعود، الحجاج في الخطاب الإعلامي السمعي الخطاب السياسي أنموذجا، د.تح، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2022.
- طبانة بدوى، الهمذاني بديع الزمان، مجلة الهلال، العدد 9 – سبتمبر 1973.
- عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د.ت، ط1، 1997م.
- ابن عبد الله أحمد شعيب، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، د. تح، ابن خلدون للنشر والتوزيع.
- عبد اللّه عبد الغني، ديوان بديع الزمان: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ، ط3.
- عبد الله محمد حسن، المنهج وآداب الحوار، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، مارس 2001م.
- عبد المجيد جميل، البلاغة والاتصال، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، د.تح.
- ابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد، العقد الفريد، تح: مفيد معقد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7، ط1، 1404هـ/1983م.
- عتيق عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، القاهرة، ط 1، 1976، 1995.
- عتيق عبد العزيز، علم البديع، د.تح، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان.
- العزاوي أبو بكر، الحجاج طبيعته ومجالاته، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، ط1، 2006.
- العزاوي أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2010.

- العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج الأحمدية، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ/2006م.
- العسكري أبو هلال، الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار إحياء الكتب العربية (عبسي البابي الحلبي وشركاه)، القاهرة.
- العمري محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي، د.ت، افريقيا الشرق، بيروت، ط2، 2002م.
- الغزالي أبو حامد محمد ، المستصفى من علم الأصول، تح: د.محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ج1.
- الغزاوي أبو بكر ، الحجاج في اللغة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.
- ابنفارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1411هـ/1991م، ج2.
- فرانس غان ايمرين وروب غروتندورست، تحليل الخطاب الحجاجي، ضمن - روبرت تراب وجاينس شوتس، آفاق في الحجاج، المرجع نفسه.
- فرانس. هـ.إميرن وفان غروند ست، نقلا عن: د. حافظ اسماعيلي العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ط1، 1431هـ/2010م.
- فكري منجوت، الحجاج في اللغة ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، بإشراف حمادي صمود، ط1، 1998.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م.

- القالي البغدادي أبي علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، علي أكبر الغفاري، دار الكتب مصرية، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1953 م.
- قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1119، ج1.
- قدامة بن جعفر أبي الفرج، نقد الشعر، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1982.
- القزويني الخطيب جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
- القزويني محمد بن عبد الرحمن، تلخيص المفتاح، د.تح، مكتبة البشرى، كراتشي- باكستان، ط1، 1431هـ/2010م.
- القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د.ت، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1407 هـ/ 1987 م،
- لاشين عبد الفتاح، البديع في ضوء أساليب القرآن، د.تح، دار الفكر العربي، 1419هـ/1999م.
- المبخوت شكري، اللغة والحجاج (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب والعلوم الإنسانية كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون، تونس، 1998 م.
- المرادي الحسن بن قاسم، الجني الداني في معاني الحروف، تح: فخر الدنين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.
- مرادي محمد هادي، فن المقامات النشأة والتّطوّر. دراسة وتحليل، مجلة التراث الأدبي، السنة الأولى، العدد 4، 1388.

- مرتاض عبد المالك، فن المقامات في الأدب العربي، د.ت، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبع بمركب الطباعة - برغاية.
- ابن المعتز عبد الله، كتاب البديع، تح: اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1402ه/1982م.
- المقدسي أنيس، تطور الأساليب النثرية، في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1960م.
- ابن منظور أبي الفضل جمال الذين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ج 12.
- ابن منظور جمال الدين أبي فضل محمد بن مكرم الانصاري الافريقي المصري، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 5.
- موسى أحمد إبراهيم، الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1388ه/1969م.
- النيلة عبد اللطيف، كتاب الأسر ار، د.تح، كنانيش مراكش، العدد 4، ط1، 2017.
- الهاشمي احمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1429ه/1999م.
- الهمداني بديع الزمان، المقامات، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- الهمذاني بديع الزمان، المقامات، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، المقامة الدينارية.

- الهمذاني بديع الزمان، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، تح: محمد محي الدين، عبد الحميد، بيروت، د.ط.

المراجع الأجنبية المترجمة:

- بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: د. عبد الحليم النّجار، دار المعارف، ط5، 1983م، ج2.
- بيرند ونير، الروابط التداولية والإحالة (الأنفورة)، دفاتر اللسانيات الفرنسية، باريس، 1967.
- لايكرف جورج، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، 2008م.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Oswald Decrott, Les Échelles de l'argumentation, Éditions Minuit, Paris, 1984.
- Oswald Decrott et Anscombre, L'Argumentation dans le langage, Brussels Press, Belgique, 1re éd., 1983.
- Oswald Decrott, Les Échelles de l'argumentation, trad. Abu Bakr al-Azzawi, 1re éd., 2020.
- Oswald Decrott, Principes de l'argumentation, s.d., Éditions Minuit, Paris, 1984.

الملاحق

الملحق 01: المقامة الحلوانية لبديع الزمان الهمذاني.

حدّثنا عيسى بن هشام قال:

الحَجِّ فيما بين مكة ومنى نزلت حلوان مع من نزل، قلت لغلامي: أجد
خبز بدنشي عقيلي، طري، فاختر لنا حماماً ندخله، وحجاماً نستعمله،
الحمام واسع القعر، قطعية، للظوفاء المعتدل الماء، ولتكن الحجام
الموسى، خفيف الثياب، قليل الفضول، فخرج مليّاً وعاد بطيّاً،
ذرته كموا قال سنمت، فأخذنا إلى الحمام فالسقلت فرر قوامه، لكني
أثري رجل خولتعمد إلى قطعة طين فلطخ بها جبيني، ووضعها على
ل آخر فجرعل يدلكني دلكاً يكد العظام، ويغمزني غمزاً يهد
يرش الأوزال، ثم يعمد إلى رأسي يغسله، وإلى الماء يرسله،
ى الأول فحوياً أخدع الثاني بمضمومة قعقعت أذنابه، وقال لكع ما
وهو لك ثم عطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابه،
حقي ومقلي في يدي، ثم تلاكما حتى عييا، وتحاكما لما بقيا،
فأتيا صاحب الحمام فقال الأول: هذا الرأس؛ لأني لطخت جبينه،
ضعت عليه طيناً، وأنا قال الثاني لأني دلكت حامله، وغمزت
مفاصله، فقال التحوني يا بيد: احب الرأس أسهلك الرأس أم له، فأتياني
ادة فتجشمت قائمة وأتيت، شئت أم أبيت، فقال الحمامي: جل
غير الصدق، ولا تشهد بغير الحق، وقل هذي: الرأس ملأيه فقلت: يا
رأسي، قد صحبني في الطريق، وطاف معي بالبيت العتيق، وما
شككت أنه كذبني، يفقال ضللني، ثم مال إلى أحد الخصمين فقال: يا هذا
افسد إليه كم نفاسة بالهذا الرأس؟ تسل عن قليل خطره، إلى لعنة الله
هب أن هذا الرأس ليس، وأنا لم نر هذا النيس.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: لَمَّا انْتَهَى بِنَا ذَلِكَ الْمَكَانِ خَجِلاً، وَلَبِسْتُ الثِّيَابَ وَجِلاً، وَسَوَّيْتُ بِالْعَضِّ وَالْمَصِّ، وَدَقَقْتُهُ دَقَّ الْجِصِّ، وَقُلْتُ لِي بِحَجَّامٍ لِأَخْرُطَ عَانَتِي هَذَا الثِّقَلَ، فَجَاءَنِي بِرَجُلٍ لَطِيفِ الْبِذْيَةِ، مَلِيحِ صُورَةِ الدُّمْلُجِيَّةِ، فَارْتَحْتُ إِلَيْهِ، وَدَخَلْتُ السَّلَامَ عَلَيْكَ، وَمِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: قُمِّيٌّ مِنْ قُمَّ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالرَّفَاهَةِ وَبَلَدِ السُّنَّةِ الْجَمَاعَةِ فِي شَلَهْدَرِ حَرَضَ مَضَارَتُ جَامِعَهَا وَقَدْ أُشْعِلَتْ فِيهِ الْمَصَابِيحُ، شَعَرِ أُولِي الْأَمْتِ بِالذَّيْلِ، وَقَدْ أَتَى عَلَى ذَلِكَ الْقَنَادِيلِ، لَكِنْ صَدَعَ اللهُ قَدْ كُنْتُ لَبِسْتُهُ رَطْباً فَلَمْ يَحْضُرْ عَلَى رِكْمَلِهِ، وَعَادَ الصَّبِيُّ إِلَى أُمِّهِ، وَاعْتَدَلَ الظِّلُّ، وَلَكِنْ كَيْفَ كَانَ حَجُّكَ؟ هَلْ قَضَيْتَ مَنَاسِكَهُ كَمَا يَجِبُ الْعَجَبُ؟ فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَنَارَةِ، وَمَا أَهْوَنَ الْحَرْعَلَى النَّظَّارَةِ، حَالِهَا، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ، وَإِلَى مَتَى هَذَا السَّبْتُ الْمُضَجَّالُ؟ وَوَا أَطِيلُ وَمَا هَذَا الْقَالَ وَالْقِيلُ؟ وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ دَ فِي النَّحْوِ تَقْلِيدُ الْمُوسَى فَلَا تَشْتَغِلْ بِقَوْلِ الْعَامَّةِ؛ فَلَوْ كَانَتْ لَ الْفِعْلِ لَكُنْتُ قَدْ حَلَقْتُ رَأْسَكَ، فَهَلْ تَرَى أَنْ تَدِئَ؟

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَأَنْتَهَرَنِي بِمَا انْتَهَرَنِي بِهِ مُذْ يَانِهِ، وَخَشِيتُ أَنْ يَطُولَ إِلَى مَغْرِبٍ لِأَنَّهُ شَفَعَ لِلَّهِ؛ وَسَأَلْتُ عَنْهُ مَنْ حَضَرَ، فَقَالُوا: جُلُّ مِنْ لَمْ يُوَافِقْهُ هَذَا الْمَاءُ، فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السَّوْدَاءُ، وَطُهُولُ النَّهَارِ يَهْذِي ى، وَرَاءَهُ فَضْلٌ مِكَثِّيٌّ بِهِ فَقُلْتُ عَزَّ عَلَيَّ جُنُونُهُ، وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

أَنَا أُعْطِي اللهَ عَهْداً كَتَمْتُ فِي النَّذْرِ عَقْدَا
لَا حَلَقْتُ الرَّأْسَ مَا عِشْتُ وَلَا قَلَيْتُ جَهْدَا

الملخص:

الملخص:

تعد المحسنات البديعية في فن المقامات وسائل بلاغية، تؤدي وظيفة جمالية وحجاجية في آن واحد، فهي لا تقتصر على تزيين الكلام، بل تسهم في تقوية الحجج وإقناع المتلقي.

وقد وظف كُتَاب المقامات (السجع، الجناس، المقابلة، التورية والمبالغة) لإبراز المعاني وتأكيدها، كما ساعدت المحسنات البديعية على جذب انتباه المتلقي وترسيخ الأفكار في ذهنه، ومن ثم أسهمت في بناء خطاب حجاجي مؤثر يجمع بين الإمتاع والاقناع، لذا تعد المحسنات البديعية عنصرا أساسيا في تحقيق المقاصد التواصلية والاقناعية للمقامة.

كما أنها أكسبت النص تماسكا وانسجاما دلاليا، وعززت من قوة التأثير في المتلقي من خلال ربط الحجج بالصور البلاغية المؤثرة. وقد أسهم هذا التوظيف الفني في إضفاء طابع مميز على المقامات، جعلها تجمع بين العمق الفكري والجمال لأسلوبي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج- المحسنات البديعية – العوامل والروابط الحجاجية - فن المقامة- المقامة الحلوانية.

Abstract :

Rhetorical embellishments in the art of Maqamat serve as rhetorical devices that simultaneously fulfill an aesthetic and an argumentative function.

They are not limited to ornamenting speech; rather, they contribute to strengthening arguments and persuading the recipient. The authors of Maqämät employed devices such as rhymed prose (saj), paronomasia (jināS), antithesis (muqabala), gradation (tawriya), and hyperbole (mubalagha) to highlight and reinforce meanings. Rhetorical embellishments also helped capture the recipient's attention and entrench ideas in their mind, thereby contributing to the construction of an impactful argumentative discourse that combines both delight and persuasion. Rhetorical embellishments are therefore a fundamental element in achieving the communicative and persuasive aims of the Maqāma.

Moreover, these rhetorical devices endowed the text with coherence and semantic harmony, while enhancing its impact on the audience by linking arguments with powerful rhetorical imagery. this artistic emploment contributed to giving the maqamat a distinctive character, enabling them to combin intellectual depth with stylistic beauty. Such a feature highlights the authors mastery in employing rhetoric to serve their argumentative and communicative purposes.

Keywords: Argumentation, Rhetorical Embellishments, Argumentativ Operators and Connectors, Art of Maqamat, AL-Hulwaniyyah Maqamah